# اللغة العربية والعلوم

ندوة أقامها المركز بالشراكة مع
(الجمعية العلمية السعودية للغة العربية)
ضمن فعاليات الاحتفاء
باليوم العالمي للغة العربية
١٤٣٧هـ/٢٠١٥م

الندوات والمؤتمرات ١٧



# اللغة العربية والعلوم

ندوة أقامها المركز بالشراكة مع

(الجمعية العلمية السعودية للغة العربية)

ضمن فعاليات الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية

١٤٣٧هـ/٢٠١٥م

الطبعة الأولى

الرياض

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

***فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر***

مجموعة مؤلفين

اللغة العربية والعلوم : ندوة أقامها المركز بالشراكة مع الجمعية العلمية السعودية للغة العربية ... / مجموعة مؤلفين .- الرياض،

١٤٣٧ هـ

١٢٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

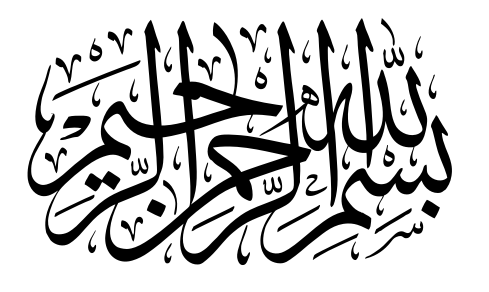
ردمك: ٦-٩-٩٠٧٢٠-٦٠٣-٩٧٨

١- اللغة العربية - بحوث   أ.العنوان

ديوي ٤١٠,٨   ١٤٣٧/٧٢١١

**رقم الإيداع: ١٤٣٧/٧٢١١**

**ردمك: ٦-٩-٩٠٧٢٠-٦٠٣-٩٧٨**


بسم الله الرحمن الرحيم

# كلمة المركز

تتكامل الأنشطة والبرامج في مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية فيما يحقق رؤيته العامة في دعم الأفراد والمؤسسات التي تعمل في خدمة اللغة العربية، وإيجاد حالة إيجابية من العمل المشترك، والتواصل البرامجي والمعرفي؛ تحقيقاً لأهدافه وسياساته العامة، وتمثيلاً للاسم الكريم الذي يتشرف بحمله، واللغة الكريمة التي يخدمها.

وبدعم من معالي المشرف العام وزير التعليم ورؤية مجلس أمنائه يجتهد المركز في العمل ضمن دوائر دولية متعددة، منها: تفعيل الجهود المؤسساتية السعودية لمواكبة الحدث الدولي في الاحتفاء باللغة العربية الذي يأتي في ١٨ ديسمبر من كل عام، ويخطط المركز لهذه المناسبة سنويا؛ لتكون منبراً لإطلاق المبادرات، وتقييم الجهود، والنقاش العلمي. ولتكون يوماً من الاحتفاء بسنة من الإنجاز السابق أو التهيؤ لعام قادم؛ لا أن تكون للاحتفاء الخطابي المجرد.

ويمثل اليوم العالمي للغة العربية مساراً من المسارات التي ينشط فيها المركز؛ لتتكامل مع مساراته الأخرى في النشر والتعاون الدولي والتخطيط اللغوي والمشروعات العلمية والمؤتمرات وغيرها؛ إذ تعد اللغة العربية من أقدم لغات العالم استخداما وأطولها عمرا، كما أنها من أكثر لغات المجموعة السامية متحدثين، وتستمد خلودها وانتشارها من كونها لغة للقرآن الكريم الذي يتصل به خُمُس العالم من خلال استخدام بعض كلماتها في الشعائر الدينية اليومية الرئيسة، إضافة إلى أنها لغة يتصل بها كثيرون لأسباب قومية أو ثقافية أو علمية.

وضمن الخطة البرامجية للاحتفاء بالعربية في يومها العالمي لهذا العام ١٤٣٧هـ-٢٠١٥م سعد المركز بالشراكة مع (الجمعية العلمية السعودية للغة العربية) لإقامة واحدة من الندوات التي عقدها المركز بالشراكة مع الجهات العلمية المختلفة، ويضم هذا الكتاب النتاج العلمي في تلك الندوة، ويتطلع المركز إلى مزيد من التعاون في هذا المجال وغيره من أوجه خدمة اللغة العربية.

**الأمين العام**

**د.عبدالله بن صالح الوشمي**

# كلمة الجمعية

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فيأتي اليوم العالمي للغة العربية هذا العام (١٨ ديسمبر ٢٠١٥م، الموافق ٧ ربيع الأول ١٤٣٧هـ) تحت عنوان (اللغة العربية)، وهو العنوان الذي اختارته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)؛ ليكون موضوع الاحتفاء بهذه اللغة العالمية في هذه السنة، وهذا العنوان - بلا شك - يعكس تقدير المجتمع العالمي للغة العربية وإسهاماتها، التي لا ينكرها إلا مكابر أو جاهل، عبر الأطوار التاريخية المختلفة، التي بدت بوضوح في تفاعلها الحضارات الغارقة في القدم، وما تركته تلك الحضارات القديمة من إرث ثقافي وعلمي، حيث أسهمت اللغة العربية في نقل ذلك الإرث بالترجمة إليها، ثم تهذيبه والإضافة عليه إضافات كثيرة، كان لها الفضل في تطور العلوم والمعارف، ودفع عجلة تقدمها، ثمَّ عملت الحضارة الإسلامية العربية بعد ذلك على نقل كل ذلك إلى الأمم الأخرى، ومن ثَمَّ كانت حلقة وصل بين حضارات الشرق والغرب، ونبراساً للحضارة الإنسانية عامة.

وبهذه المناسبة العالمية جاءت ندوة (اللغة العربية والعلوم)، التي عُقدت بتنظيم والجمعية العلمية السعودية للغة العربية ومركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية؛ وذلك امتداداً للشراكة المميزة بين الجمعية والمركز، التي أثمرت عدداً من الفعاليات والمناشط، وتُوِّجت بتوقيع مذكرة التعاون والتآزر بين الجهتين.

وفي هذا المقام نسعد أن نضع أوراق تلك الندوة العلمية بين أيدي القرَّاء الكرام، التي شارك في إعدادها نخبة من الأساتذة المتخصصين، الذين أثروا محاور الندوة - مشكورين - بأطروحاتهم وآرائهم العلمية النَّيرة. وقد حرصنا عند التنظيم والإعداد للندوة أن تكون محاورها عامة، تشمل جوانب مختلفة لحضور اللغة العربية في ميادين العلوم والمعارف، فجاءت المحاور على النحو الآتي: إسهامات

اللغة العربية في التطور العلمي والفكري على مدى القرون، والعربية والعلوم: نحو كتابة علمية صحيحة، ووسائل النُّهوض باللغة العربية في الميادين المعرفية والعلمية، وواقع اللغة العربية اليوم في المجالات العلمية والتقنية، وتدريس العلوم التطبيقية باللغة العربية (تدريس الطب نموذجاً).

وبعد، فلا يسعني في هذا المقام إلاَّ أن أتقدم بالشكر والتقدير لسعادة الدكتور عبدالله بن صالح الوشمي (الأمين العام لمركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية)، كما يمتد الشكر والتقدير إلى السادة أعضاء مجلس الإدارة بالجمعية العلمية السعودية للغة العربية، والشكر موصول إلى الأساتذة المشاركين في إعداد الأوراق العلمية، وكل العاملين الذين أسهموا في إنجاح هذه الفعالية العلمية.

**رئيس مجلس إدارة**
**الجمعية العلمية السعودية للغة العربية**
**د.أحمد بن محمد العضيب**

# إسهامات اللغة العربيّة في التطوّر العلمي والفكري على مدى القرون

أ.د.عبدالعزيز بن حميد الحميد

الأستاذ بقسم النحو والصرف وفقه اللغة

كلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

## مدخل:

عند النَّظر في تاريخ العربيّة عبر العصور نشهد تطوّراً جلياً مرّت به ابتداءً ببزوغ شمس الإسلام، ثمّ مروراً بالعصور الإسلاميّة المتوالية، فقد كانت العربيّة في تلك العصور تساير التقدّم الحضاريّ الذي شهده المجتمع العربيّ، فكانت تلبّي متطلّبات أهلها في التعبير عن حاجاتهم في كلّ مناحي الحياة.

وكما كانت العربيّة أداةً للتواصل بين متكلّميها فقد كانت أداةً لنقل المعرفة المترجمة من اللغات الأخرى، كما كانت أداةً للتواصل الداخليّ والخارجيّ، بالإضافة إلى أنَّها أسهمت في تطوّر العلوم والفكر عبر العصور العربيّة.

يتصل هذا البحث المختصر بإسهامات العربيّة في التقدّم الحضاري، وهو ميدان واسع يصعب حصر جوانبه في مثل هذا البحث المختصر، فحقّه تأليف عدّة كتب في قضاياه المتشعّبة، لكنّ المراد هاهنا هو الكشف العامّ عن بعض ما أسهمت به العربيّة في مسيرة الحضارة والعلوم عبر العصور العربيّة؛ ولذا فسأقف عند بعض النقاط المتصلة بالموضوع باختصار:

## العربيّـة أداةٌ للتواصل:

كان للعربيّة أثر كبير في صلات العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى، ففي السَّفارات بين الأمم نذكر أول مبعوث عربي إلى الصين أرسله عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ عام ٣٢هـ، وحمل معه هدايا لإمبراطور الصين، وقد أحصى المؤرّخون عدد البعثات العربيّة إلى الصين طيلة الدولة الأموية فبلغت ست عشرة بعثة، وهو دليل على كون اللغة العربيّة أداةً للتواصل بين أولئك السُّفراء ومَنْ يُتَحدَّث معهم من تلك البلاد[١].

ولا يشكّ الناظر في التاريخ الإسلاميّ عبر العصور أنّ العربيّة كانت أداة التواصل بين المسلمين وغيرهم، ففي الدولة الإسلاميّة الواسعة التي ضمّت ممالك غير عربيّة كانت العربيّة هي اللغة الرسميّة في تلك البلاد، فهي وسيلة التواصل بين الدولة وبقيّة السكّان؛ ولذا أسهم هذا في انتشار العربيّة في تلك البلاد وتعلّم كثير من أهل تلك البلاد علومَها لحاجتهم إلى معرفتها، ولعلّ ممّا يؤكد هذا أنّ علماء المسلمين في كلّ العلوم، ومنها علوم العربيّة، كان كثيرٌ منهم من أصل أعجميّ، فقد كسروا حاجز العُجْمة وتعلّموا العربيّة حتى أتقنوها، ثمّ أسهموا في تدوين العلوم وتقعيدها.

وممّا ذكره المستشرق الفرنسي أرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢هـ) أن العربيّة كانت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) اللغة المشتركة للمسلمين والمسيحيين واليهود في إسبانيا، فقد كانت لغة التواصل بين أصحاب الديانات الثلاث، وقد ذكر أنّ ثقافة اليهود الأدبية في القرون الوسطى كانت صورة للثقافة الإسلامية، وعند ترجمة اليهود المؤلفات العربية إلى العبرية احتفظوا بالكلمات العربيّة أو أتوا بمقابلاتها العبرية من المصدر اللغوي نفسه، أي أنهم قلّدوا النصّ ولم ينقلوه[٢].

---

(١) ينظر: إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، رئيس التحرير أحمد شيخ عبد السلام، ط١ (كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م)، ١/ ٧٨.

(٢) ينظر: مدخل إلى تاريخ العلوم العربية والإسلامية- فؤاد سزكين ص ١٥٤-١٥٥، ترجمة مازن عماوي (العلوم والتقنية في العالم الإسلامي، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية- جامعة فرانكفورت، ألمانيا ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م).

## مثال على كون العربيّة عنصراً في التواصل العلميّ:

يتلخّص هذا المثال في أنّ نقد العالم الأندلسيّ ابن حزم ـ رحمه الله ـ للتوراة قد انتقل إلى فيلسوف أوروبيّ جاء بعد ابن حزم بعدّة قرون، وهو باروخ اسبينوزا، الذي ولد في أمستردام بهولندا عام ١٦٣٢م، وقد هاجرت أسرته من الأندلس إثر سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م على يد فرديناند ملك إسبانيا، وقد تعرّض اليهود للقسوة؛ لإجبارهم على النصرانيّة أو خروجهم من الأندلس بعد مصادرة ممتلكاتهم، وتوفي سنة ١٦٧٧م/١٠٨٧هـ.

من آثار سبينوزا دراسته لنصوص الأسفار الخمسة المسماة بالتوراة المنسوبة إلى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد أفرد معظم كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة)[١] لهذه الدراسة. وفي دراسته تناول الظروف العامّة والخاصّة لحفظ التوراة وروايتها ونقلها؛ لمعرفة صحّة نسبتها إلى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومَنْ كاتبها؟، وتوصّل في دراسته إلى عدم صحّة تلك الأسفار، فنفى أنْ يكون موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كتبها، وأثبت أنّ كاتبها عاش بعد موسى بزمن طويل، وأنّ موسى كتب سِفْراً مختلفاً عنها.

وقد استدلّ اسبينوزا على تلك النتائج بنصوص من التوراة نفسها، تدلّ على أنّ كاتبها كان يتحدّث عن موسى بكونه شخصاً آخر غير المؤلّف، ولا يمكن أنْ يكون موسى هو الذي كتبها ثمّ تحدّث عن نفسه، كما أنّه استدلّ من نصّها على أنّ كاتبها تحدّث عن أشياء حدثت بعد موسى بزمن طويل، وعن أسماء أماكن لم تعرف إلاّ بعد موت موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بزمن طويل.

أمّا أصل منهجه الذي سلكه في نقد نصوص التوراة، فيرجّح بعض المفكرين أنّه من ابن حزم الأندلسي الذي توفي سنة ٤٥٦ هـ، فقد درس نصّ التوراة ونقده، وتوصل إلى أنّها أُلّفت بعد موسى بزمن طويل، واستخدم الاستقراء التاريخيّ

---

(١) ترجمه من الفرنسية الدكتور حسن حنفي، ونشرته الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر بالقاهرة عام ١٩٧١م.

للظروف التي أحاطت بتدوين الأسفار وحفظها ونقلها وروايتها، فاستدلّ منها على أنّ بني إسرائيل لم تكن لديهم الظروف المهيّأة لحفظ التوراة، فقد تقلّبوا بين الإيمان والفسق والكفر. وكانت النتيجة التي وصل إليها ابن حزم والنتائج التي وصل إليها (اسبينوزا) متّفقة في مجملها.

أمّا عن الصلة بين المفكرين وبينهما قرابة خمسة قرون فهو ابن عزرا الغرناطي، وهو حبر يهودي عاش في غرناطة بعد ابن حزم بمائة سنة، وعاش ابن حزم فيها، واطّلع ابن عزرا على مناظرات ابن حزم لأحبار اليهود، وعلى كتبه ومنها (الفصل في الملل والأهواء والنحل) و(الردّ على ابن النغريلة)، ونقد ابن عزرا نفسه التوراة، ثمّ قرأ (اسبينوزا) آثار ابن عزرا، وأشار إلى نقده التوراة، إلاّ أنّه زاد على ما ذكره ابن عزرا.

وعليه فيكون أصل المنهج الذي اتّكأ عليه (اسبينوزا) في نقده التوراة مأخوذاً من ابن حزم[١]، وبما أنّ ابن حزم كتب كتبه بالعربيّة، ثم قرأها ابن عزرا الغرناطي بالعربيّة، فالعربيّة كانت وسيلة التواصل بين ابن حزم وابن عزرا، ولعلّ ابن عزرا كتب كتبه بالعربيّة ثمّ تُرجمت إلى إحدى اللغات الأوربيّة التي قرأها بها سبينوزا.

## العربيّة وعاء العلوم:

أسهمت العربيّة في نهضة علوم متعدّدة، وأصبحت عنصراً فاعلاً فيها، بل أصبحت الوعاء الذي يحملها، ومنها:

علوم الشريعة التي تعتمد على اللغة في بنائها، مثل: التفسير والفقه، بل إنّ اللغة تأتي شرطاً للمفسّر والفقيه، ففي التفسير تُعين اللغةُ المفسرَ على فهم مراد الله في كتابه الكريم، ومعرفة مواقع الكلم، ليستطيع بيان معنى كلام الله عزّ وجلّ،

(١) ينظر عن نقد ابن حزم واسبينوزا للتوراة والصلة بين منهجيهما: منهج نقد النصّ بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا د.محمّد عبد الله الشرقاوي (القاهرة: مطبعة المدينة)، وللاطلاع على ما كتبه اسبينوزا راجع كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة)، ص٢٦٥ وما بعدها. ويُنظر في الموضوع: أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي، عبد العزيز الحميد ١/٨٢-٨٣.

ومثله في الحديث بل استُحدثت علومٌ؛ لتسهيل معرفة تلك الصلة بين اللغة وعلوم الشريعة، مثل (غريب القرآن) و(غريب الحديث) لبيان الغَرِيبَيْن. وفي الفقه تأتي اللغةُ عاملاً أساسيّاً لاستنباط الفقيه الأحكامَ الشرعيّة من القرآن والسنّة.

ألّف علماء المسلمين في العلوم الأخرى كالطبّ والفلك والهندسة وغيرها، وكان تأليفهم بالعربيّة، ومع ذلك فقد ارتقت تلك العلوم وتطوّرت عند المسلمين، ثمّ انتقلت إلى الغرب وهي بالعربيّة، فقرأوها فأسهمت تلك العلوم بالتقدّم العلميّ والحضاريّ عند الغرب، وهو أمرٌ معلوم مشهور.

واللغة هنا هي الوعاء الذي حمل تلك العلومَ إلى العرب، سواء علوم الشريعة أو علوم اللغة، أو غيرها من العلوم، ثمّ عَبَرَت تلك العلوم إلى الأمم الأخرى وهي مكتوبة بالعربيّة، فمنهم من قرأها بالعربيّة، ومنهم من ترجمها ليقرأها الناطقون بتلك اللغات.

والناظر في انتشار المخطوطات العربيّة في العالم يندهش من أعدادها الهائلة في كثير من بلاد العالم، وهو ما يؤكد عناية غير العرب بها، وما مخازن المخطوطات المبثوثة في دول العالم، وما تشتمل عليه من مخطوطات عربيّة، إلا دليل على هذا الأمر، فقد نهَلَت الأمم الأخرى منها سواء بقراءتها بالعربيّة أو ترجمتها إلى لغاتها المختلفة.

وقد كانت العربيّة عاملاً فاعلاً في ترجمة العلوم منها وإليها، فهي الوعاء الذي استقبل الكتب التي تُرجمت من لغات أخرى إليها، وهي الوعاء الذي أسهم في نشر العلوم بنقلها إلى لغاتٍ أخرى.

## أثرُ العربيّة على غير العرب:

كان للعربيّة أثرٌ عجيبٌ على من تعلّمها من غير العرب، سواء مَنْ تعلّمها منهم لغةً ثانية، أو مَنْ نشأ منهم في البلاد الإسلاميّة فأصبحت لغتَه الأولى، فالعربيّة لم تعدْ لغةً أجنبيّةً عليهم بل أصبحت لكثير منهم أقربَ إليهم من لغاتهم الأُمّات،

فقد انجذب بعضهم إليها انجذاباً عجيباً، ولعلّ إبصار هؤلاء الأعاجم شيئاً من خصائصها وتميّزها عن لغاتهم الأصليّة هو ما دفعهم إلى الإعجاب بها، فيما اعتاد العرب عليها ولذا فلا يبصرون كثيراً ممّا يبصره غيرهم من العجم.

ومن الأعاجم الذين اعتزّوا بالعربيّة أكثر من اعتزازهم بلغتهم الزمخشريّ، ففي مقدمة كتابه (المفصل) قال: «اللّه أحمدُ على أن جعلني من علماء العربية، وجَبَلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفردَ عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يُجْدِ عليهم إلا الرَّشْقَ بألسنة اللَّاعنين والمَشْقَ بأسنّة الطَّاعنين»[1]. وقال أبو الريحان البيروني العالمُ الشهير، الفارسي الأصل: «واللّه، لأَنْ أُهْجى بالعربية، أحبُّ إليَّ من أن أُمدح بالفارسية!».

وعلى مدى التاريخ كان لهذا الإعجاب وحبّ العربيّة لدى الأعاجم أثرٌ في اتجاههم إلى دراستها والتأليف فيها، أمّا كون كثير من علمائها منهم فهو أمرٌ بيّن، فلا يحتاج إلى مزيد بيان، كما أنّ إعجاب كثير من الدارسين الأعاجم بها، وخاصّة في العصور المتأخرة ممّن يُعدّون من المستشرقين، فهو أمرٌ مشهور، لكنّ هذا الموقف لم ينتهِ عند الإعجاب بالعربيّة، بل كان له أكبر الأثر في الانكباب عليها؛ لدراستها والتأليف فيها، ونشر كتبها المخطوطة في شتّى بلاد العالم، بل لقد تميّز أولئك على بعض المحقّقين العرب في المنهج والأمانة العلميّة، والحرص على إخراج النصوص كما أرادها مؤلّفوها، وهو ما يدلّ على قدرتهم على قراءة نصوصها وفهمها ومعالجتها بما يناسب ميدان الكتاب والعلم الذي أُلّف فيه.

وقد شهد على حسن أعمالهم وسعيهم إلى الدقّة العلميّة بعض محقّقي العرب، من أمثال فيليب حتي الذي قال: «عارضْ ما نشره العلماء الغربيون من المخطوطات العربيّة بما نشرناه نحن، قابلْ ـ مثلاً ـ (تاريخ الطبري) طبعة مصر بـ(تاريخ الطبري) طبعة ليدن، أو (تاريخ المسعودي) طبعة مصر بطبعة باريس،

(١) المفصل في علم العربية، الزمخشري، ط١ (القاهرة: مطبعة التقدم، ١٣٢٣هـ)، ص٢.

أو الشهرستاني طبعة مصر بطبعة لندن؛ فماذا تجد ؟! تجد أنّ مطبوعاتنا لا تكاد تكون صالحة للاستعمال، بالنسبة لرداءة ورقها وكثرة أغلاطها، وخلوّها من الفهارس والحواشي والتعاليق والملاحظات الانتقاديّة! فكأنّما الغاية من طبعها تجاريّة فقط، بخلاف الطبعات الأوربيّة المجمّلة في الغالب بالمقدّمات والفهارس، والحواشي والتدقيقات، فلا يكاد يستغني عنها طالب»[١].

كما أنّ محقّقاً آخر ممّن اشتهر بمعرفته بالمخطوطات ومناهج التحقيق، وهو د.صلاح الدين المنجّد، قال: «طبَّق المستشرقون في نشرهم النصوص العربيّة القواعد التي تُتَّبع في أوربة لنشر النصوص الكلاسيكيّة (اليونانيّة، واللاتينيّة)، وهي قواعد دقيقة تضمن الأمانة في إخراج النصّ، وتضمن أنْ يأتي النصّ المنشور كما وُضَع في أصله، وقد طَبَّقت هذه القواعد في هذا القرن في نشر النصوص العربيّة جمعيّة المستشرقين الألمان DMG في نشريّاتها الإسلاميّة Bibliotheca Islamic التي كان يشرف عليها المستشرق الكبير هـ.ريتر، وطبَّقتها جمعيّة غيوم بوده Association Guillaume Bude في فرنسة، وتبعها من قبل جميع المستشرقين»[٢].

أمّا العالم المصريّ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ فقد قال: «وشيءٌ نادرٌ عُني به بعض المستشرقين في أوروبة وغيرها من أقطار الأرض، يمتاز عن كلّ ما طُبع في مصر بالمحافظة الدقيقة ـ غالباً ـ على ما في الأصول المخطوطة التي يطبع عنها، مهما اختلفت، ويذكرون ما فيها من خطأ وصواب، يضعونه تحت أنظار القارئين، فرُبّ خطأ في نظر مصحّح الكتاب هو الصواب الموافق لما قال المؤلّف، وقد يتبيّنه شخص آخر عن فهم ثاقب أو دليل ثابت»[٣].

---

(١) تاريخ دراسة المشرقيات في أوربّا، فيليب حتي، مجلة الهلال، نوفمبر ١٩٢٤م/ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ، السنة (٣٣)، ١٧٦/٢.

(٢) قواعد تحقيق المخطوطات، د.صلاح الدين المنجد، ط٥ (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦م)، ص٨٧.

(٣) تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، أحمد شاكر، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، ط٢ (القاهرة: مكتبة السنة، ١٤١٥هـ)، ص١٠-١١.

والمطّلع على جهود المستشرقين، على سبيل المثال، في تحقيق كتب اللغة والمعاجم يجد جهوداً كبيرة في هذا الميدان، وقد أحصيت حوالي تسعين كتاباً لغويّاً حقّقه مستشرقون، وسبقوا في كثير منها المحقّقين العرب[1]. أمّا في ميدان التأليف في علوم العربيّة قديماً وحديثاً فأكثر من أنْ يتسع هذا البحث للحديث عنه، فلعلّ فيما سبق كفاية.

## اللغة منقذ للشعوب وعاملٌ من عوامل الاستقلال والاستقرار:

لا أحد يشكّ في أثر اللغة في توحيد الناطقين بها، وهي التي تنقذهم من التفرّق والتمزّق، فقد مزّقت ـ مثلاً ـ حروب نابليون ضدّ ألمانيا الألمان في مطلع القرن التاسع عشر، لكنّهم توحّدوا ثانية، وكان للغة الألمانية أثر كبير في هذا الأمر، قال فيلسوفهم فيخته: «اللغة والقومية أمران متلازمان ومتعادلان. إنَّ اللغة التي ترافق المرء وتحركه حتى أعمق أغوار تفكيره وإرادته، هي التي تجعل منَّا ـ نحن الألمان ـ مجتمعاً متماسكاً يدبّره عقل واحد، إنَّ الذين يتكلمون لغة واحدة يؤلّفون من أنفسهم كتلة موحدة، ربطت الطبيعة بين أجزائها بروابط متينة، وإن كنَّا لا نراها، إنَّ الحدود التي تستحقّ أن تسمّى حدوداً طبيعية بين الشعوب هي التي ترسمها اللغات»[2].

والمشاهَد أنَّ اللغة أسهمت في توحيد أقطارٍ واستقرارها (كألمانيا، وإيطاليا، وبلغاريا، واليونان، وغيرها من دولٍ متعدّدة)، بينما كان اختلاف اللغات في الوطن الواحد عاملَ ضعفٍ في دولٍ أخرى، وهو ما أسهم في ضعفها وتفكّكها، ومن تلك الدول الدولة العثمانية؛ فقد انفصلت عنها الدّول الناطقة بغير التركيّة، وكذا الإمبراطورية النمساوية؛ فقد انفصلت عنها الشعوب الناطقة بغير الألمانية[3]. ولا

---

(١) ينظر في قائمة تلك الكتب التي حققها المستشرقون كتابي: أعمال المستشرقين العربيّة في المعجم العربي، ١/ ١٦٣-١٧٠.

(٢) اللغة بين القومية والعالمية، إبراهيم أنيس، ص١٠٦.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص١٠٨.

ننسى أنَّ اللغة العبرية هي التي وحَّدت اليهود الذي جاؤوا من أقطار الأرض لا توحّد بينهم قوميّات، فهم من قوميات مختلفة؛ ولذا لجأوا إلى اللغة لتوحّد بينهم، فأحيوا اللغة العبرية؛ لتكون لغتهم المقدّسة.

قال زكي نجيب محمود: «لست أتصوّر لأمّة من الأمم ثورة فكرية كاسحة للرواسب، إلا أن تكون بدايتها نظرة عميقة عريضة تراجع بها اللغة وطرائق استخدامها؛ لأن اللغة هي الفكر، ومحال أن يتغيّر هذا بغير تلك»[١].

وحينما ننظر إلى تاريخ المسلمين فإنّنا نلحظ أثر العربيّة - إضافة إلى الدين الإسلاميّ - في توحيد المسلمين عرباً وغير عرب، وشعورهم بانتمائهم إلى وحدة واحدة، أمّا أثر العربيّة في ترابط الناطقين بها عبر التاريخ، فهو أمرٌ لا يحتاج إلى بيان، فعلى مدى التاريخ العربيّ كانت العربيّة الرابط القويّ بين العرب الأصليّين والبلاد العربيّة التي تعرّبت كالشام والعراق ومصر وغيرها، فأصبح الجميع عرباً بانتمائهم إلى الحضارة العربيّة التي انضمّوا تحتها، واللغة التي اتّخذوها بدلاً عن لغاتهم الأصليّة.

## تأثير اللغة العربية في كثير من لغات العالم:

ممّا أسهمت به العربيّة خارج حدودها أنّها أثّرت تأثيراً بالغاً في كثيرٍ من اللغات؛ لكونها لغة القرآن الكريم الذي يسعى كلّ مسلم إلى تعلّم قراءته وفهمه؛ لذا تأثّر كثير من المسلمين الناطقين بلغات أخرى بها، فأخذوا من العربيّة الكثير من الظواهر اللغويّة، وبعض وجوه التأثّر بالعربيّة لم يقتصر على لغات الشعوب الإسلاميّة، بل شمل لغات عالمية متعدّدة سيأتي ذكرها لاحقاً، ومن أهمّ وجوه التأثير ما يلي:

أ- تأثير النظام الكتابي العربيّ على أنظمة لغاتٍ كثيرة فكُتبت به: لقراءة المسلمين القرآن بالعربيّة تأثّرت لغاتٌ كثيرةٌ برسمه فكتبوا لغاتهم بحروفه؛ لاعتيادهم عليها، ولعلّ من دوافعهم شعورهم ببركة القرآن الكريم والرغبة

(١) تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، ط٧ (بيروت- القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٢م)، ص٢٠٥.

بمحاكاة رسمه.

من اللغات التي تأثرت بالنظام الكتابي العربيّ: الفارسية، والكردية، والبوشتو، والسِّندية، والأوردو، والبنجابية، والكشميرية، والأذربيجانية الجنوبية، والأيغورية، والبوسنوية، والأوزبكية، والجاوية. ومن الكتابات التي تأثرت بالعربيّة الكتابة المورسكية (لغة الألخاميذو): وهي كتابة المسلمين لغات إسبانيا والبرتغال بالحروف العربية بعد سقوط غرناطة[١]. ومن اللغات كذلك اللغة الأفريكانية: وهي لغة المستعمرين الهولنديين في أفريقيا، وقد كتبها المسلمون بحروف عربية. وكذا اللغة الألبانية: كتبها المسلمون بحروف عربية[٢].

ب- تأثير بعض قواعد اللغة العربيّة في قواعد بعض اللغات غير الإسلاميّة: للعربيّة تأثير جليّ في أنظمة بعض اللغات الأخرى وقواعدها، ومن مظاهر هذا التأثير تأثير العربيّة في اللغة القشتالية وهي أصل اللغة الأسبانية الحديثة، فقد أخذت من العربية الموصولات وبعض ضمائر الرفع المنفصلة، وكل ضمائر الرفع المتصلة[٣].

جـ- انتقال ألفاظ عربيّة إلى لغات عالميّة: كثرت الكتابات في العصر الحديث عن الألفاظ العربيّة في اللغات الأجنبيّة، أمّا في القديم فالناظر في الإنتاج العربيّ الفكريّ المتّصل بوصف الحياة في البلاد الأخرى التي أصبحت ضمن مملكة الإسلام يلحظ كثرة الكلمات العربيّة في تسمية الأشياء، وهو دليل واضح على انتقال تلك الكلمات إلى تلك اللغات، وخاصة لغات الشعوب الإسلاميّة، فلا عجب من تأثّرها بالعربيّة، وانتقال كثير من ألفاظها إليها، وخاصّة الألفاظ الدينيّة أو ما يتصل بالعادات العربيّة المتوافقة مع الدين.

---

(١) ينظر: عالمية الأبجدية العربية، عبد الرزاق القوسي، ص١٤٠.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص١٥٩، ١٦٦.

(٣) ينظر: لسان حضارة القرآن، محمد الأوراغي، ص١٣٥.

وعند النظر في الكتب العربيّة التي تصف بلاد العجم وتذكر تسميات الأشياء فيها (ككتب الرحلات والجغرافيا) يندهش الناظر من كثرة الألفاظ العربيّة الشائعة في تلك البلاد، وهو أكبر دليل على شيوع العربيّة فيها ودخولها في المظاهر الحضاريّة لديهم، ولو استعرضنا بعض كتب الرحلات كرحلة المقدسيّ (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، أو رحلة ابن بطوطة، فإنّنا سنجدهما غنيّتين بذلك النوع من الألفاظ في تلك اللغات الأعجميّة، وفيما يلي أورد مجموعتين من الألفاظ التي وردت في الكتابين:

**من الألفاظ العربيّة التي ذكر المقدسيّ في رحلته تسمية العجم بها:**

- ذكر المقدسيّ عن أهل جُرْجان في إقليم الديلم أنّهم يسمون العالم مُعَلّماً. (ص٢٨٣)[١].
- وفي حديثه عن إقليم الديلم ذكر أنّ صغار الدراهم وكبارها تُسمّى بالغرب المكيّة واللفائف. (ص٢٨٢).
- وفي حديثه عن نهرٍ بالأهواز في إقليم خوزستان ذكر أنّ الدواليب التي يديرها الماء تسمى النواعير. (ص٣١٥).
- وفي حديثه عن إقليم السِنْد ذكر تسمية دراهم السِنْد بالقاهريّات. (ص٣٦٤).
- وفي حديثه عن جانب خراسان من إقليم المشرق قال: «ومن سمرقند أيضاً ديباج يحمل إلى الترك وثياب حمر تُسَمّى مُمَرْجَل». (ص٢٥٦).

ولا يخفى أنّ تلك الألفاظ العربيّة دليل على أثر العربيّة في تلك اللغات.

(١) أرقام الصفحات التي أمام كل فقرة هي لمواضعها في: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسيّ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د.محمد مخزوم (بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

**ومن الألفاظ العربيّة التي ذكر ابن بطوطة في رحلته تسمية العجم بها:**

- تسمية أهل الهند العجلة بالعربة. (٢/٢١٨)[1].
- تسمية أهل الهند الأمراء بالملوك. (٣/١٠٤).
- تسمية أهل إيذج الزاوية التي يكون فيها الطعام والشراب للضيوف بالمدرسة. (٢/٢٣).
- تسمية أهل جزيرة سيلان آدم ببابا، وحوّاء بماما. (٤/٨٠).
- تسمية أهل بلاد المَعْبَر الأَخْبِيَة بالخيام. (٤/٩٣).

ممّا مضى يتضح مدى التأثير الكبير للعربيّة في عدّة لغات أعجميّة، ولا عجب في ذلك حينما يكون التأثير في لغات الشعوب الإسلاميّة الأخرى؛ لما لانتمائهم للإسلام واتّصالهم بالمسلمين من أثر معلوم، لكنّ العجيب هو تأثّر لغات أخرى لشعوب غير إسلاميّة في غالبها، وهو باب واسع، فلا تكاد لغة من اللغات الأوربيّة تخلو من كثير من الكلمات العربيّة، ومع شهرة تأثّر الإنجليزية بالعربيّة ودخول كلمات عربيّة فيها لكنّي سأمثّل بغيرها لكثرة ما كُتب عنها، ومن تلك اللغات:

- اللغة الإسبانيّة:

قال مدير المعهد الثقافي الإسباني، بكتور غارسي دي لكونتشا، خلال اللقاء الذي أقيم بمجلس النواب للمنتدى البرلماني الإسباني المغربي حول موضوع (العلاقات الثقافية في إطار موروث مشترك): إن عشرة آلاف كلمة من أصل عربي توجد باللغة الإسبانية تم تضمينها كلها في قاموس الأكاديمية الملكية للغة الإسبانية.

وأضاف أنّ هذا التواجد الكثيف للكلمات العربية في اللغة الإسبانية يقابله تأثير ضعيف للغة الإسبانية على العربية، حيث نجد فقط بعض الكلمات من أصل إسباني

(١) رقم الجزء والصفحة الذي أمام كل فقرة هي لمواضعها في: رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي (الدار البيضاء: مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

في لغة الضاد. وأعطى دليلاً عن هذا التأثير الكبير للغة العربية على اللغة القشتالية، كما في شعر الشاعر الصوفي سان خوان دي لا كروز؛ نظراً لأن أمه من أصل مغربي.

وقال أيضاً: إنَّ أول مرة تم التَّحدُّث فيها باللغة الإسبانية بالمغرب يعود إلى أواخر القرن الرابع عشر، واليوم أصبح عدد كبير من المغاربة يتكلمون الإسبانية، بسبب تواجد المغاربة بإسبانيا. كما أنَّ السنة الماضية عرفتُ تسجيل ما يزيد عن ١٣ ألف شخص بالمراكز الثقافية الإسبانية الستة بالمغرب والمعروفة باسم (ثربانتيس) بهدف تعليم اللغة الإسبانية.

وبدوره أكد رئيس مجلس المستشارين، محمد الشيخ بيد الله، هذا التأثير العربي على الثقافة الإسبانية مستدلاً بذلك ببعض الكلمات (كالزيت = aceite، السكر = azúcar، والسردين= sardina)[1].

- اللغة الفرنسيّة:

نشرت السيدة هنرييت والتر كتاباً في (٣٤٤) صفحة من الحجم الكبير بعنوان (مغامرة الكلمات الفرنسية القادمة من الخارج)، صدر بباريس سنة ١٩٩٧م، عن دار روبير لافون، وصاحبة هذا الكتاب باحثة فرنسية وأستاذة للسانيات في جامعة رين الفرنسية، ومديرة لمختبر الفونولوجيا في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، ورئيسة للجمعية الدولية للسانيات الوظيفية، صدر لها قاموس بالاشتراك مع جيرار والتر سنة ١٩٩١م، عن دار لاروس بباريس، عنوانه (قاموس الكلمات الفرنسية ذات الأصل الأجنبي).

وللكشف عن الكلمات الفرنسية ذات الأصل الأجنبي فقد اعتمدا على القاموسين الفرنسيين:

(Le Petit dictionnaire de la langue française) المطبوع بباريس سنة ١٩٨٨م.

---

(١) ينظر: أخبارنا المغربيّة: http://www.akhbarona.com/culture/5701

و(Le Micro-Robert plus) المطبوع سنة ١٩٨٧م.

ويحتوي كل منهما على ٣٥,٠٠٠ كلمة، وقد وجدا أنَّ الكلمات ذات الأصل الأجنبي (٤٠٦١) كلمة، ومن النتائج التي توصل إليها مؤلفا القاموس المذكور أن مجموع الكلمات الفرنسية القادمة إليها من لغات أخرى، شرقية وغربية، يصل إلى نسبة١٣٪ تقريباً، وأنَّ الكلمات الفرنسية القادمة من اللغة العربية تقع في المرتبة الخامسة من بين اللغات التي استعارت منها الفرنسية كلماتها، أي أنَّ الكلمات العربية تأتي من حيث عددها في مرتبة قبل الألمانية (المرتبة السادسة)، والإسبانية (المرتبة السابعة)، والفارسية (المرتبة الثالثة عشرة)، والبرتغالية (المرتبة السادسة عشرة)... وغيرها من اللغات الأخرى. وهكذا تبين أنه توجد (٢١٢) كلمة عربية.

ومن بين هذه اللغات الشرقية المؤثرة في الفرنسية، وجدت السيدة هنرييت والتر أنَّ العربية كانت لها مكانة متميزة جداً من حيث تأثيرها الكبير على المعجم الفرنسي؛ ولذلك فهي تستهل فصلها العاشر بفقرة تحت عنوان (مكانة متميزة للغة العربية)، تقول فيها: «لم يقع للفرنسية ما وقع للإسبانية التي وجدت نفسها في احتكاك يومي مع العربية لمدة طويلة جداً، لا تقل عن سبعة قرون بالنسبة لجنوب شبه الجزيرة [الإيبيرية]، ومع ذلك فإن الفرنسية استعارت كمية كبيرة من الكلمات العربية واحتفظت بها. وأقرب هذه الألفاظ حضوراً في الذهن، هو- بلا شك- تلك الكلمات التي جاءت إلينا عن طريق شمال إفريقيا خلال فترة الاستعمار»[١].

---

(١) ينظر: صور من رحلة الكلمات العربية إلى الفرنسية – تقديم وترجمة وتعليق أ.د. عبد العلي الودغيري، مجلة اللسان العربي، السنة ٢٠١١ العدد ٤٩

# مراجع الدراسة:

**أولا: البحوث والدراسات:**


- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسيّ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د.محمد مخزوم (بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
- إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، رئيس التحرير أحمد شيخ عبد السلام، ط١ (كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م).
- أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي، د.عبد العزيز الحميد، ط١ (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - عمادة البحث العلمي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢)م.
- تاريخ دراسة المشرقيات في أوربّا، فيليب حتي، مجلة الهلال، نوفمبر ١٩٢٤م/ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ، السنة (٣٣).
- تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، ط٧ (بيروت - القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٢م).
- تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، أحمد شاكر، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، ط٢ (القاهرة: مكتبة السنة، ١٤١٥هـ).
- رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي (الدار البيضاء: مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ اسبينوزا، ترجمه من الفرنسية الدكتور حسن حنفي (القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر، ١٩٧١م).

- صور من رحلة الكلمات العربية إلى الفرنسية، تقديم وترجمة وتعليق أ.د.عبد العلي الودغيري، مجلة اللسان العربي، السنة ٢٠١١م، العدد (٤٩).
- عالمية الأبجدية العربية وتعريف باللغات التي كُتبت بها، عبد الرزاق القوسي، ط١ (الرياض: مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).
- قواعد تحقيق المخطوطات، د.صلاح الدين المنجد، ط٥ (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦م).
- لسان حضارة القرآن، محمد الأوراغي، ط١ (الرباط: دار الأمان، الجزائر: منشورات الاختلاف، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- اللغة بين القومية والعالمية، إبراهيم أنيس (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م).
- مدخل إلى تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فؤاد سزكين، قسم (العلوم والتقنية في العالم الإسلامي)ترجمة مازن عماوي (فرانكفورت، ألمانيا: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية- جامعة فرانكفورت، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م).
- المفصل في علم العربية، الزمخشري، ط١ (القاهرة: مطبعة التقدم، ١٣٢٣هـ)،
- منهج نقد النصّ بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا، د. محمّد عبد الله الشرقاوي (القاهرة: مطبعة المدينة).


**ثانياً : المواقع الإلكترونية:**


- موقع أخبارنا المغربيّة: http://www.akhbarona.com/culture/5701

# العربية والعلوم
# نحو كتابة علمية صحيحة

أ.د.إبراهيم بن محمد الشتوي

الأستاذ بقسم الأدب

كلية اللغة العربية ـ جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية

يدخل عادة الباحثون إلى هذه القضية من خلال الحديث عن تدريس الطب، بوصفه إحدى القضايا العويصة التي ينبغي أن يبادر العالم العربي بمعالجتها، فيذكر أحد الباحثين المهتمين بتدريس العلوم وعلى رأسها الطب باللغة العربية أن الكليات التي تدرِّس الطب بالعربية لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، بالرغم أن عدد كليات الطب في العالم العربي ربما بلغ المائة. وهذا الموضوع يثير قلقاً عند كثير من الغيورين من أبناء الأمة العربية، ليس بسبب ما قد يحدثه تدريس الطب باللغة الإنجليزية من صعوبة، وإنما بسبب الحس القومي العالي الذي يرى بأن عدم بلوغ اللغة العربية منزلةً يمكن أن تحوي جميع العلوم والمعارف، وتكون مادةً لشرحها والتأليف فيها؛ أمر مخجل، إذ تبدو فيه اللغة العربية درجة ثانية، وهو ما قد يهدد الثقافة القومية، والاستقلال الحضاري.

وحين نعود إلى التاريخ العربي نجد أنَّ العربية في بداية عهدها لم تكن لغة مكتوبة في الغالب، وكان الناس يعتمدون على المشافهة، بل إنَّ المؤرخين يؤكدون على أنَّ الحروف العربية جاءت من النَّبطية على خلاف في أول من كتب بها، مما يعني أنَّها في الأساس لم تكن لغة مكتوبة، وكانت اللغةُ مستعملة في الشعر والأدب والتخاطبات اليومية، ولم تكن قد استعملت في العلوم، أو التعبير عنها؛ نظراً لأن هذه الأغراض

لم تكن موجودةً بَعْدُ عند العرب، وإنْ كانت تملك المقومات التي تجعلها قادرةً على التَّعبير عن الحاجات العلمية بناءً على كثرة الأسماء، وتعبيرها عن سائر الموضوعات والحقول (كالحيوان، والفلك وأسماء النجوم، والنبات وأسمائها، وأنواعها، ومراحلها) مما يُعَدُّ مستوى جيداً، يمكن أن يُبدأ به.

ولذا لا نعجب إذا وجدنا أنَّ العرب في بداية أمرهم قد توصَّلوا إلى هذه العلوم عن طريق الترجمة، أو الأمم الأخرى، والعلوم التي نشأت في البيئة العربية (كالفقه، والتاريخ، والشعر، والنحو) قد أخذت وقتاً طويلاً قبل أن تصل إلى المستوى الذي يجعل تلك العلوم قابلةً لأن تُكتب بها، وأصبحت متفوقة عن سواها من الأمم لدرجة أن الأمم الأخرى قد توصَّلت إلى تلك العلوم بلغة العرب، من مثل كتاب (القانون) لابن سيناء، الذي كان يُدَرَّس في أوربا، فأصبحت اللغة العربية في ذلك الزمن لغة الحضارة، وهو ما يزيد حيرة المهتمين بتدريس العلوم بالعربية، ويعيد السؤال مرة أخرى بصورة أشد: لماذا لا تكون العلوم إذاً باللغة العربية كما كانت؟ ولماذا نصف اللغة بالعجز عن تحمل العلوم، ونضطر إلى دراسة العلوم بالإنجليزية والفرنسية أو الألمانية؟.

ويزداد الحنق حين نعلم أنَّ كثيراً من الأمم، التي قد لا تماثل لغاتها العربية تاريخاً وعظماً، وكثرة متحدثين، تعلِّم العلوم المعاصرة بلغاتها، مما يجعل الأمر محيِّراً بشكل كبير، ويدعو إلى الاضطراب، ويكرر السؤال عن المشكلة!.

يحاول بعض الباحثين الرافضين الجواب عن هذا التساؤل المبادرة بالقول: إنَّ اللغة العربية لغة العواطف والأدب والمشاعر والفن، فهي اللغة الشاعرة كما يعبر عباس العقاد[1]؛ ولذا لا تصلح لأن تكون لغة العلوم التي ينبغي أن تكون دقيقةً في تعبيرها عن أشياء محدَّدة لا يحتمل فيها القول أكثر من وجه، وهذا ما لا يتوافر في اللغة العربية التي تعبِّر فيه الجملة عن معان كثيرة، وتتعدد فيها الألفاظ تعدداً كبيراً حتى أنَّ الشيء الواحد قد يسمى بألفاظ مختلفة، وربما تدلُّ الكلمة الواحدة

---

(١) ينظر: اللغة الشاعرة، للعقاد، ص٧.

على معان مختلفة أيضاً، وهذا يجعل قدرتها على تحمّل ما يعتلج في النفوس أمراً بيِّناً متفوِّقاً، وهو ما جعل الأدب العربي متقدِّماً على غيره من الآداب.

وأنا أرى بأنَّ هذا جزء من المشكلة، فالمشكلة لا تقتصر على تدريس العلوم الطبيعية والتطبيقية باللغة العربية، وإنَّما تتجاوز ذلك إلى سائر العلوم بما فيها العلوم الإنسانية، ذلك أنَّ وجود لغة علمية عربية تُكتب بها الدِّراسات والبحوث، وتُدار بها النِّقاشات، ويُحتكم إليها في تقويم المادة المكتوبة أمر لا يزال يحتاج إلى مزيد من النَّظر.

فعلى الرَّغم من كثرة ما كتبه القدماء عن الكتابة وصناعة الإنشاء والتأليف، فإنَّ الكتب القديمة تناول الكتابة بوصفها شيئاً واحداً، ولا تفرِّق بين الأدب وسواه، وهذا يظهر من الكتب التي عُنَيت بالكتابة كما في (المثل السائر)، أو (صبح الأعشى في صناعة الإنشا)، أو غيرهما، كما يبدو في الفرق بين الرسالة الديوانية والرسائل الإخوانية، وبين كتابة التاريخ أو الأخبار الأدبية.

وحين نعود إلى العربية في الزَّمن الأول نجد أنَّها لم تتحوَّل إلى لغة علوم بين عشية وضحاها، وأنَّ العرب في مئتهم الأولى والثانية لم يستطيعوا أن يتجاوزوا النَّقل والتَّأليف اليسير الذي هو أقرب إلى الأدب منه إلى العلم، وهذا يظهر في كتاب (الحيوان) للجاحظ، الذي هو في الأصل كتاب في عم الحيوان، وقد كتب الجاحظ في الصِّناعات، وعلم النبات فله كتب: في الزرع، والنخيل، والعنب، بالرغم من أنه يتسم بما تتسم به كتابات الجاحظ من الاستطراد خارج الموضوع، الذي وإن حاول أن يصبح علمياً إلا أنه أدبي في المقام الأول، إذ كثر فيه الاعتماد على الشعر في جمع المادة العلمية، واستنباطها في الحديث عن أحوال الحيوان، وطباعه، وأخلاقه، وما يعرض له، وأنواعه، وأسمائه، كما كثر فيها الاعتماد على الترادف، والتضاد، والتوازي، والتكرار مما هو سمة أسلوب الجاحظ بوجه عام.

يقول الجاحظ:

• (أقسام الكائنات)

وأقول: إنَّ العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء: متفق، ومختلف، ومتضاد، وكلها في جملة القول جماد ونام. ولو أنَّ الحكماء وضعوا لكل ما ليس بنام اسماً، كما وضعوا للنَّامي اسماً؛ لاتَّبعنا أثرهم، وإنما ننتهي إلى حيث انتهوا. وما أكَثر ما تكون دلالة قولهم: جماد، كدلالة قولهم: موات. وقد يفترقان في مواضع بعض الافتراق. وإذا أخرجت من العالم الأفلاك والبروج والشمس والقمر، وجدتها غير نامية، ولم تجدهم يسمون شيئاً منها بجماد ولا موات، وليس لأنها تتحرك من تلقاء نفسها لم تسم مواتا ولا جماداً...

• (تقسيم النامي)

ثم النامي على قسمين: حيوان ونبات. والحيوان على أربعة أقسام: شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح، وشيء ينساح. إلا أنَّ كل طائر يمشي، وليس الذي يمشي ولا يطير يسمى طائراً، والنَّوع الذي يمشي على أربعة أقسام: ناس وبهائم، وسباع، وحشرات. على أنَّ الحشرات راجعة في المعنى إلى مشاكلة طباع البهائم والسباع. إلا أنَّنا في هذا كله نتبع الأسماء القائمة المعروفة...»[1].

ومثل هذا القول يقال عن كتاب (معجم البلدان) الذي هو في الأصل كتاب في الجغرافيا، ولكن حظ الجغرافيا لا يزيد عن ربع المادة، في حين يأتي الأدب والشعر، والتاريخ، والتراجم غالباً على المادة الأصلية، بل نجد الباحث يستمد معلوماته الجغرافيَّة من الشعر كما كان يفعل أبو عثمان قبله.

ونستطيع الوقوف على هذه الظاهرة بشكل بين في (الكتاب) لسيبويه، و(الكامل) للمبرد، حيث لم تستقر اللغة الاصطلاحية عند النحويين، وحديثهم توصيف، وقد يستعملون ألفاظاً متعددة للحديث عن شيء واحد، بالرغم أنَّ اللغة النَّحويَّة فيما بعد نضجت واكتملت عند الأجيال الأخرى، وأصبحت محددةً تحديداً دقيقاً كما هو

---

(١) كتاب الحيوان، للجاحظ، ١/٢٦-٢٧.

في (أوضح المسالك).

من ذلك - مثلاً - ما جاء في كتاب (الكامل) لأبي العباس للمبرد: «والعرب تلفُّ الخبرين المختلفين، ثم ترمي بتفسيرهما جملةً؛ ثقةً بأنَّ السَّامع يرد إلى كلٍّ خبره، وقال الله عز وجل: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾»[1].

فهذا الأسلوب الذي يصفه المبرّد، ويشرحه دون أن يسمّيه أو يعدَّه محسِّناً، وإنَّما بوصفه طريقةً في التَّعبير صحيحةً لغوياً، يعدّه البلاغيون فيما بعد لوناً من ألوان البديع، ويسمونه بـ(اللف والنَّشر)، أو (الطَّي والنَّشر). والغريب أنَّنا نجد عبارة المبرّد هذه في توصيف الفن، ومثاله منتشر في كتب البلاغة دون أن نجد إشارة إليه كما في كتاب (البديع) لعبد العزيز عتيق مثلاً.

ولم تتحوَّل العربية إلى لغة العلم إلاّ بعد أن تتالت القرون، وأصبحت المصنّفات العلمية مستقلةً عن الأدبية، وبعد أن تراكم العلم والمعرفة في العربية، وكثر المتخصّصون فيها، والتَّآليف حولها، فأتقن العرب ما نقلوه عن الأمم الأخرى، وفاقت تآليفهم فيه ما كان عند غيرهم، ونحن نستطيع أن نلمح شيئاً من هذا القلق اللغوي في مناظرة متَّى بن يونس والسيرافي الذي مثَّلت فيها اللغة قلقاً واضحاً، كما ظهر أيضاً من كلام الجاحظ السابق، حين يتحدث عن الألفاظ في الفرق بين (جماد) و(موات) وقوله: إنهم لم يسموا شيئاً وأنه ينتهي حيث ينتهون، ومن كلام أرسطو في الطبيعة حين يقول: «وذلك أن المتغير يتباعد عما منه تغير ويفارقه، على أن التغير والمفارقة معنى واحد بعينه»[2]، حين يحرص على التأكيد على أن المفارق والمتغير هو عينه. وهنا أصبح من الطبيعي أن تكون اللغة العربية هي لغة العلوم لأن المعارف فيها أكثر، ولا يتوصل المريد إلى شيء من العلم مثل ما يتوصل بها.

وبالرغم مما ذكرناه عن اللغة، فإنها أيضاً لم تكن اللغة العلمية قد أُحكِمت إحكاماً شديداً في العلوم، ولم تظهر معالمها بينة واضحة، بل ظلت تحمل سمة

(١) الكامل، للمبرد، ١/١٦٦.

(٢) الطبيعة، لأرسطوطاليس، ٢/٦٦٦.

اللغة الإنشائية الوصفية حتى في كتب الطب. ولو وازنّا بعض نصوص ابن سيناء في (القانون)، ونص أبي عثمان الجاحظ سالف الذكر لوجدنا الشبه بينهما كبيراً، والموضوع أيضاً متشابه، يقول ابن سينا:

«**الفصل الثاني: في أمزجة الأعضاء:**

اعلم أنَّ الخالق - جل جلاله - أعطى كل حيوان، وكل عضو من المزاج ما هو أليق به وأصلح لأفعاله وأحواله بحسب الإمكان له، وتحقيق ذلك إلى الفيلسوف دون الطبيب، وأعطى الإنسان أعدل مزاج يمكن أن يكون في هذا العالم مع مناسبة لقواه التي بها يفعل وينفعل. وأعطى كل عضو ما يليق به من مزاجه، فجعل بعض الأعضاء أحر، وبعضها أبرد، وبعضها أيبس، وبعضها أرطب.

فأمَّا أحرّ ما في البدن فهو الروح والقلب الذي هو منشؤه، ثم الدم، فإنه وإن كان متولداً في الكبد، فإنه لاتصاله بالقلب يستفيد من الحرارة ما ليس للكبد، ثم الكبد؛ لأنها كدم جامد، ثم الرئة، ثم اللحم، وهو أقل منها بما يخالطه من ليف العصب البارد،...»[1].

وهو ما يدل على أنَّ اللغة لم تتغير حقيقة، وأنَّ اعتماد لغة خاصة بالكتابة العلمية ذات مواصفات معينة تختلف عن الكتابة الأدبية لم تكن مطروحةً بشكل كبير في التراث العربي بحيث نجد المصنفات فيها، بالرغم من القلق الذي أشرت إليه سابقاً.

ويستمر هذا الأمر إلى التاريخ المعاصر إذ نجد أنَّ الكتابة في الدراسات في العلوم الإنسانية والمعلومات وغيرها من العلوم، ليست ذات سمات معينة، وموضوعات محددة تتميز بها عن الكتابة الصحفية، أو الكتابة الأدبية، ويتجلى ذلك حين نجد بعضا من الرسائل العلمية في الدراسات الأدبية قد كتبت بلغة أدبية تغلب عليها الصور الأدبية، والألفاظ التي لا يكاد يفهمها كثير من الناس، وقد يطرح بعضهم سؤالاً إنكارياً مفاده: إذا لم يكتب البحث في الأدب بلغة أدبية فما الذي يكتب فيه الأدب؟. ونجد كاتباً مثل شوقي ضيف يتناول قضايا ما سماه (البحث الأدبي) ثم

(١) القانون في الطب، لابن سينا، ١/٢٣.

لا يقف عند الحديث عن اللغة التي ينبغي أن يكتب فيها البحث بالرغم من حديثه عن الترابط المنطقي بين أجزائه.

وإذا كانت هذه الظاهرة تقل في الدراسات المكتوبة عن علم الاجتماع مثلاً، فإن صفة العلمية لا تتوافر فيها، ولعل أبرز صفة ينبغي أن تنتفي من اللغة العلمية التي نتحدث عنها هنا، هو الإنشائية، التي تقوم على تفتيق الكلام، والتعليل، والتفسير اللغوي لكل ظاهرة نتحدث عنها، والوصف الجمالي فيما لا يخدم الموضوع المدروس، والاستطراد داخل الحديث عن الشيء الواحد. هذه الإنشائية هي سمة الكتابة القديمة التي أشرت إلى شواهدها. ولعل من المؤسف ألاّ تأخذ اللغة، وطريقة التعبير من الباحثين المختلفين أدنى اهتمام.

أما اللغة العلمية فيُعبَّر بها عن المحتوى بإيجاز، ودقة، ووضوح، ومباشرة، ولا يقصد منها سوى المعنى الظاهر المباشر السَّطحي، المحدد الذي تظهره اللغة، وتكون تراكيبها سهلةً واضحةً يمكن أن يدرك معناها القارئ في المرحلة الجامعية. ويغلب عليها استخدام الربط بين الجمل، ويكون الرابط سببياً، أو نتيجة، أو تكميلاً لعدد، أو جواباً لشرط، بحيث يظهر للقارئ الرابط بين الجمل والفقرات.

كما ينبغي أن نراعي في الصياغة عود الضَّمير الذي قد يُلبس القارئ عند تكرره، فنستعيض عنه بالاسم الظاهر الذي يحدد المقصود، حتى لو أدى ذلك إلى التكرار أحياناً، واستخدام اسم الإشارة الذي يرتبط بالمشار إليه، أو ربط الجمل بالاسم الموصول عوضاً عن روابط أخرى كالحال أو الصفة، أو الخبر المتعدد الذي قد لا يكون محدد الدلالة بشكل كبير في الصياغة العلمية (الإجرائية).

كما نعتمد على الجمل المتتابعة في بيان المادة المكتوبة عوضاً عن استخدام الروابط الحرفية التي ربما تؤدي معاني إضافية لا يحتاجها القارئ؛ مما يؤدي إلى اللبس في تحديد المعنى.

وأمَّا الرَّوابط الجملية فإنها تفيد العلاقة بين الفقرات، وتنبئ القارئ باتجاه القول، والمسار الذي يريد أن يسير إليه الكاتب فيما يكتب؛ ولذا لا بدَّ أن تكون جزءاً

من اهتمام الكاتب، ليعرف معناها، فيستخدمها، ويلتزم بها حتى يكون الكلام مترابطاً ترابطاً واضحاً، وتكون الصلة بين الفقرات بينة محددة من قبل الكاتب لا تحتاج إلى حدس أو تخمين.

ولها مكملات، أهمها المصطلحات التي يتحدث بها المتخصصون عن مسائل العلوم التي يريدون، والمصطلحات هي ألفاظ يقصد بها معان محددة، ثابتة تخالف المعنى اللغوي الظاهر، ويتكون منها العلم، وتحيل إلى مفاهيم خاصة بنيت عليها هذه المصطلحات. وقد تكون متقاربة اللفظ، ويكون الفرق بينها قليل جداً، ومع ذلك لا يحسن الخلط بينها.

وإذا لم تكن هذه المصطلحات وما تدل عليه من مفاهيم معروفة في لغة من اللغات، فإن الكتابة والتدريس والتأليف يظلّ ناقصاً وقاصراً في هذه اللغة، وسيجعل الحديث عن هذه العلوم غير واضح أو بيّن، ويشوبه كثير من الشوائب. وأنا أستطيع الآن أن أذكر بعض المصطلحات التي قد نفهمها لغوياً، ولكنّنا لا نعلم بالضبط ما تقصد، من مثل: العُصَاب، أو الفصام، أو الذهان. وكلها مصطلحات نفسية تحيل إلى (علم النفس التحليلي). هذه المصطلحات تتداخل فيما بينها أحياناً تداخلاً كبيراً، ويصبح الفرق بينها فرقاً دقيقاً. ولا يمكن أن يكون هناك لغة علمية صحيحة دون أن يكون هناك مصطلحات شاملة في العلم المدروس.

والمصطلحات كانت موجودة في التراث العربي، إلّا أنّ المعاصرين قد توسّعوا باستعمال المصطلحات، وجعلوا لها معاجم تبين جديدها، وأشبعوها بالدراسة، كما أنها قد توسعت توسعاً كثيراً، حتى أصبح استعمال المصطلحات هو ما يميز الكتابة العلمية عن غيرها من الكتابة.

ولابد أن تكون هذه المصطلحات دقيقة في تعبيرها عن المراد، ويكون تداخلها مع المصطلحات الأخرى بيّناً، ومعلوماً عند مَنْ يستعملها، ويكون المقصود بها محدداً تحديداً دقيقاً على صورة يعرف المستعملون معناه.

هذه المصطلحات ترتبط بالنظرية الكلية التي قام عليها العلم، وهي مع

المصطلحات الأخرى تؤثث النظرية متكاملة، سواء كانت في العلوم الإنسانية أو سواها. ونحن - مثلاً - عندما نتحدث عن (الفاعل) في النحو لا بدَّ أن نكون على معرفة بـ(الفعل)، وبـ(الجملة الفعلية)، وبـ(الاسم)، ونتصل بما يصبح به الفعل فعلاً بما يسميه النحويون (علامات الفعل). فما لم يكن هناك معرفة بالنظرية التي ينطلق منها المصطلح في أساس تكوينه، فلا يمكن أن يكون المصطلح وحده كافياً في التعبير عن المعنى المراد.

وإذا كان المصطلح منقولاً من لغة أجنبية، فلا يكفي أن ينقل كما هو أو أن نترجمه بلغة عربية، ولكن لا بد من وجود مراجع تشرحه، وتبين معناه إما كتب خاصة، أو معاجم للمصطلحات في الفنون المختلفة، وتقارن بينه وبين مصطلحات أخرى مشابهة له إما في اللغة نفسها، أو منقولة من لغات أخرى حتى تكشف اللبس الذي قد يعتري استعماله.

والمفاهيم والمصطلحات ليست فقط معلومات، ولكنها أيضا طريقة تفكير، ورؤية علمية، فإذا لم تكن لدينا هذا الرؤية أو لا نفهم التي على أساسها قامت النظرية؛ فإننا لن نستطيع أن نفهم حقيقة المعنى، ويمكن أن أضرب هنا مثلاً بمصطلح (موت المؤلف)، الذي يعني أنَّ سلطة المؤلف على النص تضعف كثيراً، فيتاح المجال للقارئ أن يبحث عن المعنى الذي يبدو له.

هذا المعنى كان جديداً على المستوى النَّظري النَّقدي في الثقافة العربية؛ ولذا ظل مدة طويلة مكان تساؤل من قبل الدارسين العرب عن معناه وصحته ثم قيمته، وأخذ هذا المفهوم تأويلات مختلفة ومتنوعة بعضها إيديولوجي، حتى قال بعضهم: إنه صورة من صور موت الإله عند نيتشه. ونحن لو تأملنا لوجدنا المفهوم النقدي لا يختلف كثيراً عن قول الذي يقول:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الناس جراها ويختصم

ويؤكد هذا الأمر ما وجدناه في التراث العربي من تعدد الشروح للقصيدة الواحدة، أو الديوان، إذ نجد للمعلقات شروحاً مختلفة، وشروحاً لحماسة أبي

تمام، وشروحاً لديوان المتنبي، يسعى فيه كل شارح إلى تقديم رؤيته للبيت بعيداً عما يمكن أن يكون الشاعر قد قصده، بل يتناسى تماماً الشاعر، وكأنه لم يوجد عند تقديم معنى البيت. وأذكر هنا شرح قول امرئ القيس في المعلقة:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

فهناك من يقول: إنَّ المقصود أنَّ رسمها ما زال قائماً، وذلك بسبب أنَّ الريح الجنوبية تدفن الرسم، فتأتي الشمالية وتكشفه، في حين هناك من يقول: لم يعف رسمها وحسب؛ وذلك بسبب تعاور الرياح الجنوبية والشمالية أخرى. وهما معنيان متناقضان، ومع ذلك قال بهما الشراح.

هذا فيما يتصل بالعلوم الإنسانية، أمّا بالعلوم الطبيعية، فينضاف إلى ذلك أنَّ طبيعة تلك العلوم لم تعد كما كانت عليه من قبل، وإنما أصابها قدر من التَّرميز، فكلٌّ رمز يحيل إلى معارف كثيرة، فالماء ـ مثلاً ـ صيغته في الكيمياء H2O وتعني H الهيدروجين، في حين تعني Oالأوكسجين، وكل واحد من هذه المسميات له خصائص ومكونات يختلف عن الآخر، ويمثّل علماً قائماً بذاته، وحتى نكتب بلغة علمية متناسبة مع العصر، لا بد من اعتماد هذه الرموز بوصفها مكوّناً مكيناً من اللغة العلمية، تدور العلوم عليها، ولا يكفي تحويل الرمز إلى العربية إذ الرمز في نفسه لا يدل على شيء، فما لم يكن هناك مصادر تشرح هذه الرموز وتبيّن الإحالة التي تدلّ عليها، فإنّ الكتابة بالعربية لا تعني شيئاً، وكذلك تعليم الكتب العربية كذلك.

وهذا القول ينطبق ـ مثلاً ـ أيضا على مصطلح (الرومانسية)، فما لم نفهم معنى الرومانسية اللغوي، والسبب الذي سميت به الرومانسية رومانسية، والظروف التاريخية التي جعلت هذه الحركة الأدبية تظهر، وما يميزها عن الحركة السابقة، واللاحقة لها، والمبادئ التي آمن بها الرومانسيون وقامت حركتهم تسعى للتعبير عنها، والوسائل التي اتخذها الرومانسيون أداة للتعبير عن هذه المبادئ، والانتماء إلى هذه المدرسة، فلن نتمكن من استعمال مصطلح (الرومانسية) استعمالاً علمياً.

وأؤكد هنا على الاستعمال العلمي للمصطلح؛ لأن هناك استعمالاً آخر يشيع في أحاديث الناس، كوصف الإنسان بأنه رومانسي، أو الطبيعة بأنها رومانسية، أو قصر الرومانسية على الأحاديث العاطفية، والتي يتم فيها الحديث عن المرأة حتى لو كان بصورة مغايرة عما هي عليه عادة الرومانسيين.

وإذا كانت الكتب في حقل من الحقول مكتوبة بلغة أجنبية، والمصطلحات مكتوبة بتلك اللغة أيضاً، والأفكار قد صيغت فيها، فإنّ الكتابة بلغة أخرى ليس أمراً يسيراً كما يبدو للوهلة الأولى، بل يتطلب تحويلاً شاقاً لتلك المعارف والعلوم، وتصوّراً لها من قبل المتلقي، وإيجاداً لتلك المعاني، والأفكار في اللغة الجديدة والثقافة الجديدة، وهو أمر لا يمكن أن يتم بوقت قصير، وإنما لا بد له من تراكم معارف، وخبرات، وتطور لهذه المعرفة في اللغة وأصحابها.

والعلوم بأنواعها المختلفة قد قطعت أشواطاً في التقدم والتطور، سواء في حجم المعرفة الموجودة، التي تراكمت عبر السنين، أو بالطرائق التي تعبر بها عن تلك العلوم، وهي لا زالت تتطور وتتنامى بعيداً عنا نحن أبناء العرب؛ ولذا من الصواب جداً أن نقول: إنَّ تلك المعارف والعلوم والنظريات لا وجود لها - للأسف - في لغة العرب، وكتابتها بالعربية يعني تحويل تلك المعاني إليها.

وأنا لن أدخل في قضية قيمة تدريس العلوم باللغة العربية، والجدل الذي يدور حول أهميته بالنسبة لاستيعاب الطلاب المادة العلمية، وقدرتهم على التواصل مع الأستاذ ونحو ذلك؛ لأن هذه الأسباب يمكن الإجابة عنها، وإنما لأنها بالنسبة لي قضية قومية بالدرجة الأولى، ولا يقبل التفاوض عليها، ولا بد أن نذلّل الصعاب التي تقف عائقاً دونها، والموقف منها مثل الموقف الذي وقفته جميع الأمم عند توطين وبناء القضايا ذات الصلة ببعدها القومي كاللغة، أو الثقافة.

وبالرغم من أهمية هذه القضية، والحماسة الشديدة التي يبديها بعض المهتمين في الموضوع إلا أنّ التأليف باللغة العربية يعني التعبير عن المعارف والمفاهيم باللغة العربية أي عن معان لا توجد باللغة بشكل كبير، بأسسها المعرفية، ويتطلب قبل ذلك

تأسيس حراك علمي باللغة العربية، يتمثل بإيجاد جمهور ومحبين لتلك العلوم، ومتابعين لها، وشريحة من الناس تدعم البحث فيها، والتأليف وتستهلك ما ينشر فيها، وتستفيد منه، وربما دور نشر خاصة بها، ومجامع تعنى بالعلوم نفسها حتى تصبح المصطلحات، والمفاهيم، والمادة العلمية موجودة، ويجعل للمؤلفات بالعربية قيمة في نفسها، ويجعل الكتابة ذات أهمية.

وبناء على هذا فإنَّ حال العلوم الطبيعية والتطبيقية باللغة العربية لا يسر، وهو حال ضعيف، وهذا يبدو في كتابات الذين تحدثوا عن الكتب العربية في الطب وغيرها، إذ رأوا أنَّ المادة العلمية الموجودة بالعربية قليلة جداً، سواء فيما يتصل بالكتب المترجمة، أو في القواميس والموسوعات، وأنّ الكتابة بالعربية لا تمثل شيئاً إذا قيست فيما ينتج في اللغات الأخرى كالإنجليزية، والألمانية، والفرنسية.

وقد ذكر الأستاذ الدكتور خالد العبد الرحمن في ورقة له عن تدريس الطب نقلاً عن الدكتور أمين هيكل: «أن المكتبة الطبية العربية في وضعها الحالي عاجزة عن استيعاب التطور الهائل والسريع في العلوم الطبية الذي يسير بسرعة أكبر بكثير مما كان عليه في السنوات السابقة، حين كانت حركة التعريب في أوجها. فهذه الحركة التي تقوم على كاهل أساتذة وأطباء سوريا وحدها، تفتقر الآن إلى الإمكانيات اللازمة لرفد المكتبة الطبية باستمرار بالعدد المطلوب من الترجمات الحديثة».

وبناء على هذا وعلى العجز في عدد الأساتذة الذين يستطيعون التدريس باللغة العربية يخلص الدكتور هيكل في معرض تقويمه لتجربة تدريس الطب باللغة العربية إلى أنَّ «تجربة تعريب الطب، إن استمرت بشكلها الحالي، تعد تجربة أقرب إلى الفشل منها إلى النجاح، فهي لا تلبي احتياجات الطلاب والعاملين بحقل الطب»[(١)]. وأنَّ إيجاد أساتذة قادرين على تدريس العلوم بالعربية أمر لا يقل صعوبة

(١) (ينظر: تعريب التعليم الطبي: رؤية واقعية وخطوات عملية، أ.د.خالد العبدالرحمن، صحيفة عناية الإلكترونية، على الرابط: http://www.enayh.com/news/1151

عن إيجاد المراجع الجيدة، وأنَّ المكتبة العربية فقيرة أو تكاد بالكتب المؤلفة في المراجع العلمية، وقد أجمعوا أن تعليم الطب في هذه الحالة فاشل.

فالتدريس بالعربية لا يقتصر على كتاب المقرر الذي قد يؤلفه أحد الأساتذة، أو يترجم من إحدى الكتب المقررة؛ لأن ذلك سيجعل الطلاب مربوطين بهذا الكتاب الذي ستختلف المعلومات في الطب عنه بعد مدة ليست بالطويلة، وستصبح معلوماتهم قديمة جداً، ولن يتمكنوا من تحديثها بالاتصال بالمراجع العلمية، والمجلات المحكمة التي تنشر ما يجد في عالم الطب.

بل إنَّ الدراسة نفسها تتطلب اطلاع الطالب على مصادر أخرى مساعدة، تدعم معرفة الطالب، وإعداد بحوث صفّية تساعده في توسيع اطلاعه في الحقل المدروس، ومعرفة المصادر المختلفة في حقله العلمي، وهذا ما لا يمكن تحقيقه في عدد يسير من المراجع.

ولا يكفي القول: إنَّ التدريس يكون باللغة العربية مع اشتراط أن يكون الطالب ملماً بلغة أخرى، تمكنه من القيام بالمتطلبات الأخرى؛ لأن التدريس في هذه الحالة لا يعني شيئاً، وسيظل الطالب معتمداً على اللغة الأخرى في الفهم، وتعزيز معلوماته، وربما في الكتابة والحديث؛ لأنه يستقي تلك المعلومات باللغة الأجنبية وسيجد التعبير عنها بالأجنبية أسهل من العربية التي تجعل تحويل تلك المعلومات كما ذكرنا من قبل عملاً فردياً، كما سيجد المتلقي - أيضاً - يشعر بالاطمئنان لتلقي معلومات، ومعان ألفها، ويدرك ما يقصد بها على وجه التحديد، وهو ما لا يتوافر عند تحويل المعلومات إلى اللغة العربية من قبل المتحدث أو الدائرة الضيقة له.

ثم إنَّ التَّدريس بالعربية لا ينبغي أن يكون الخطوة الأولى في هذا المشروع، وإذا لم يكن الخطوة الأخيرة، فإنه ينبغي أن تكون الخطوة الثالثة أو الرابعة، بعد الترجمة، والتأليف بالعربية، وإصدار مجلات محكمة تنشر البحوث العلمية بالعربية، وإقامة مؤتمرات، وندوات علمية يعقبها بعد ذلك التدريس فيها.

## خلاصة:

إن تدريس العلوم باللغة العربية لا ينفصل عن الحركة العلمية، ومستواها، إذ من الممكن تدريس العلوم باللغة العربية بالاعتماد على المتاح منها، ولكن إذا كان المتاح قليلاً فإن هذا سيعني أنَّ مستوى الدارسين سيكون في حدود هذا القليل، والأمة الناهضة التي تسعى عن طريق هذا المطلب إلى تعزيز حضارتها، وهويتها، وبناء ذاتها لا يمكن أن ترضى بهذا القليل؛ لأن ذلك يعني أنها ستكون عالة دائمة على من يقوم بأعباء هذه العلوم، ويجعل تدريسها كعدمه.

## المراجع:


- تعريب التعليم الطبي: رؤية واقعية وخطوات عملية، أ.د.خالد العبدالرحمن، صحيفة عناية الإلكترونية، على الرابط:http://www.enayh.com/news/1151
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٢ (القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م).
- الطبيعة، أرسطوطاليس، ترجمة إسحاق بن حنين، مع شروح: ابن السمح، وابن عدي، ومتَّى بن يونس، وأبي الفرج ين الطيب، سلسلة المكتبة العربية (٣٢)، حققه وقدم له عبدالرحمن بدوي (القاهرة: إدارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥).
- القانون في الطب، أبو علي الحسين بن علي بن سينا، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبّرد، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه د.محمد أحمد الدّالي، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، د.ط (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م).

# وسائل النُّهوض باللغة العربية
# في الميادين المعرفية والعلمية

أ.د.عبدالعزيز بن صالح العمار

الأستاذ بقسم البلاغة والنقد
ومنهج الأدب الإسلامي

كلية اللغة العربية ـ جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مما يجب البدء به والإشارة إليه شكر اللّه أولاً وآخراً على ما تفضَّل به علينا، فقد أسبغ علينا نعمه، وأحاطت بنا فضائله، وهي نِعَمٌ لا تُعدُّ ولا تُحصى، ومن أجلِّها نعمة الإسلام، فله الحمد ـ سبحانه ـ أن جعلنا أمَّة مسلمة، ومن تمام هذه النعمة أن جعلنا أمَّة عربية، وأنزل علينا كتابه (القرآن الكريم) بلسان عربي مبين، نقرأه ونتدبره بلغتنا إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها، وهذه من أجلِّ النِّعم؛ ولذا امتنَّ بها علينا في آيات تُتلى إلى يوم القيامة، في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾[١].

والشُّكر كذلك إلى حماة اللغة العربية وسدنتها، القائمين عليها، الذين أخذوا على عاتقهم حفظ اللغة العربية، والالتزام بقواعدها كتابةً وحديثاً، والدَّعوة إلى التَّمسك بها، وبيان فضائلها ومحاسنها، والذَّود عن حماها، وصدِّ هجمات أعدائها، ورد شبهاتهم التي تحاول ـ عبثاً ـ الازدراء بها، والتَّنقُّص من شأنها، وبذلوا من أجل تحقيق تلك الغاية كلَّ غالٍ ونفيس، وصرفوا لها طاقاتهم، وجلَّ أوقاتهم.

ويأتي في مقدمة هؤلاء منسوبو كلية اللغة العربية، قياداتها الأكاديمية، وجميع

(١) سورة العنكبوت، الآية ٥١.

أعضاء الهيئة التدريسية رجالاً ونساءً، فلعميد الكلية ووكلائها ولرؤساء الأقسام وللأساتذة وللأستاذات خالص الشكر وصادق الدعاء، نظير جهدهم المتميز في تقديم اللغة العربية في أجمل صورة، وأبهى حلة في كل محفل، وفي كل مناسبة، فهم لا يألون جهداً في إبراز مكانتها، وفي إظهار محاسنها، وفي الذَّود عنها؛ فعادت ـ بسببهم ـ شبهات الحاقدين وسهام المتربصين باللغة العربية إلى نحورهم، فذاقوا وبال أمرهم، وكان عاقبة أمرهم هزيمةً وذلاًّ، ولم يحققوا مبتغاهم، ولم ينالوا اللغة العربية وأهلها بسوء، ولله الحمد.

وممن يُشكر في هذا المقام القائمون على الجمعية العلمية السعودية للغة العربية رئيساً وأعضاء، على تبنيهم إقامة الندوات والمؤتمرات التي تخدم اللغة العربية، وترفع من قدرها وشأنها، ومن تلك الفعاليات إقامة ندوة (اللغة العربية والعلوم)، التي تأتي احتفالاً باليوم العالمي للغة العربية، فلهم منَّا خالص الشكر، وصادق الدعاء أن يكللِّ الله جهودهم بالتوفيق والنجاح.

والشُّكر موصول كذلك إلى القائمين على مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، نظير جهودهم القيِّمة في خدمة اللغة العربية، فلهم في ذلك إسهامات ونشاطات في سبل شتَّى؛ في إعلاء اللغة العربية، وفي إظهار قدرها وعلو كعبها، وبيان ما تميَّزت به من خصائص ومزايا، جعلتها في مصاف اللغات العالمية الأخرى، فلهم كلُّ الشُّكر والتَّقدير والدَّعوات الصادقة بأن يبارك الله في جهودهم، وييسر أمورهم في تحقيق غاياتهم النبيلة.

لعل مما يؤسف له، ويحز في ضمير كل غيور على دينه ولغته أن يدرك أعداء الأمة «أهمية اللغة العربية وخطورتها ومنزلتها في الإسلام، وفي فهم كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان من أهم محاولاتهم إضعاف صلة المسلم بلغته العربية، وإضعاف شعوره بضرورة التَّمسُّك بها»[1].

كما نجح أعداء الأمَّة العربية والإسلامية في مساعيهم وحملاتهم المتكررة في

---

(١) لماذا اللغة العربية؟، ص ١٧.

ترويج فكرة لقيت رواجاً وقبولاً ـ وللأسف ـ عند بعض أصحاب الفكر والثَّقافة من أبناء أمتنا العربية والإسلامية، وهي أنَّ اللغة العربية غير قادرة على مسايرة ركب العلوم، وأنَّها ليست لغة علم، وأنَّها عاجزة في عصرنا الحاضر عن القيام بما كانت تقوم بها من التَّأليف بها في التَّخصُّصات العلميَّة، فهي ليست لغة العصر، بل لغة مرحلة أدَّت دورها على خير وجه فيما مضى، وأمَّا في عصرنا الحاضر فقد آن الأوان لبنيها والمتكلمين بلسانها أن يعترف بعجزها وقصورها عن مسايرة الرَّكب، وقصارى ما تصل إليه أن تكون لغة المشاعر والعواطف، فلنا أن نكتب بها قصيدة عصماء، أو مقالة أدبية، أو رواية متعددة الفصول، وأمَّا ما عدا ذلك فلا ضير أن نعترف بعجزها وقصورها، وأن نعترف بتميُّز اللغات الأجنبية، وأن نسلِّم للغات الأجنبية بأنَّها لغة العلوم والمعارف المتعددة والمتنوعة التي تواكب هذا العصر الذي نعيشه، الذي يشهد ثورة علمية في جميع المجالات[1].

لغتنا العربية ليست قادرة على مسايرة ركب العلوم وحسب، بل متميزة في كونها وعاء للعلوم، ولغة لكل الفنون، وقد بدأ تميُّزها حين نزل قول الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[2]، حين اتخذها ربُّ العالمين لغةً لكتابه العزيز، فجاءت محمَّلة بكثير من الخصائص الأسلوبية، والنُّكت البيانية، والأسرار البلاغية بلغت به حدَّ الإعجاز، فأعجزت الفصحاء، وأخرست البلغاء، وجاء التَّحدِّي للثَّقلين جميعاً أن يأتوا بمثله، وحكم عليهم بالعجز عن الإتيان بمثله وبمعارضته في قوله :﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾[3].

كما جاء في القرآن الكريم ذكر لبعض العلوم بشتَّى المعارف والتَّخصُّصات

(١) ينظر: الإعلام العربي وتحديات العولمة، ص٩.
(٢) سورة العلق، الآية١.
(٣) سورة البقرة، الآيتين ٢٣ ـ ٢٤.

تفصيلاً وإجمالاً؛ ولذا كان من وجوه إعجازه الإعجاز العلمي، إشارةً إلى احتوائه على مسائل علمية، بل إنَّ كثيراً منها لم يُعرف ولم يُكشف إلَّا في العصر الحديث بعد تقدّم وسائل المعرفة، وتطور سبل البحث؛ نتيجة للتَّطور المعرفي للشعوب والمجتمعات، ونظير ما بُذل من الأوقات والأموال في سبيل العلم والمعرفة[1].

وقد جاء ذكر هذه العلوم والمعارف وبيانها بأسلوب علمي بليغ، وبلسان عربي مبين تميَّزت به اللغة العربية، بلغت به حدَّ الإعجاز، فلم تقف اللغة العربية عاجزة ولا قاصرة عن بيان مرادها، بل كانت لغةً معجزة في الحديث عن العلوم وطُرُق المعرفة.

وقناعتنا باللغة العربية وقدرتها ليس على مسايرة العلوم، بل على سبق اللغات الأخرى، وفضلها عليها في هذا الجانب، وهذا الاقتناع ليس أمراً عاطفياً، ولا ديانةً فحسب، مع أنَّ لغتنا العربية من الدين، وتعاطفنا معها أمر نظهره، ولا نكتمه بلَهَ أن ننكره، ولا لوم علينا في ذلك ولا عتب، بَيْدَ أنَّ حديثي هنا عن اللغة العربية سيكون حديثا علمياً.

ويجب أن نعلم علماً يقينا أنَّ اللغة العربية من الدين، وأنَّها جزء من هويتنا، وعنوان ثقافتنا، يقاس تقدُّمنا بتقدُّمها، ويظهر تميّزنا بتميّزها، فارتقاؤنا مرهون بالارتقاء بها، فعلينا أن نرفع بها رأساً، وأن نشرف بالانتماء إليها، وتعتز بها حديثاً وكتابةً، فهي مظهر من مظاهر تماسك الأمة العربية، وصورة من صور عزَّتها فلا عزَّة للأمَّة العربية ولا نصر بدون اعتزاز بلغتها العربية، ومؤازرة لها في جميع المجالات، وفي كافة المجالات العلمية، بل والحياة اليومية لدى أبنائها[2].

وثمَّة ارتباط وثيق بين عزَّة الأمَّة ونهضتها وبين لغتها، فهي لسانها النَّاطق، المبين عنها، المفصح عن هويتها، فتضعف اللغة بضعف قومها، وتعزّ بعزّتها؛ ولذا فانحصار اللغة وضعفها انعكاس للحالة التي تعيشها الأمة، ومظهر من مظاهر تخلُّفها، ومشيها ذليلة خلف الأمم تابعةً لها في أفكارها ولغتها، فهل نحن قادرون

---

(١) ينظر: البيان في إعجاز القرآن، ص٢٥٨.

(٢) ينظر: أهمية الحفاظ على اللغة العربية في عصر العولمة، ص٣٤.

على قيادة الركب؟ وأن نكون قادة هذا العصر الذي نعيش فيه؟، فإذا لم نكن قادرين على ذلك، فلغتنا أيضاً لن تكون قادرة على مسايرة ركب العلوم، فهي انعكاس لحالنا، وموقفنا من عدونا، ولن تكون لغتنا لغة علم، لغة عزيزة وأهلها ضعفاء، يقبعون في مؤخرة الرَّكب، يأتمرون بأمر عدوِّهم، وعنه يصدرون، فنحن ولغتنا وجهان لعملة واحدة، يعتزان جميعاً، أو يضعفان جميعاً!.

ولذا فإنَّ «واقع اللغة العربية اليوم يتأثّر كثيراً بواقع المسلمين، فهي تقوى بقوتهم، وتضعف بضعفهم، ولكنَّها تبقى في الميدان تصارع التحدِّيات، تبقى حية غنية بكل خصائصها مهما ضُيق عليها، أو غزاها الظالمون، ومهما اشتد المكر والكيد لتوهينها، أو عزلها عن الميدان»[1].

كيف لا تكون اللغة العربية قادرة على مسايرة العلوم وقد نزل القرآن بها؟! فإذا كان القرآن الكريم باقياً إلى قيام الساعة، محفوظاً بحفظ الله له، فستظلُّ لغته كذلك باقية خالدة، وستظلُّ لغته متجدِّدة محافظة بخصائصها ومزاياها.

وكما أنَّ القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، فكذلك لغته، رغم أنف الحاقدين، وجهل الجاهلين، وهذا يضاعف مسؤولية أبناء هذه اللغة، فلا يكفي التَّغنِّي بأمجادها، وتعداد خصائها، ما لم نكن قادرين على ترجمة ذلك كله في واقع علمي يشهد بتميزها، ويقطع الطريق على كل جاحد وحاقد.

كما أنَّ نزول القرآن بها فضلاً في كونه مفخرة لها ودليلاً قاطعاً على قوَّتها وخلودها، فهو في الوقت نفسه يضاعف مسؤولية أبناء الأمة العربية والإسلامية إلى التَّمسُّك بها، والاعتزاز بها والافتخار، وتطويع جميع العلوم والفنون لها، بأن تُكتب بحروفها، وتدرس بلسانها.

وأنَّى للغة اختارها الله وعاءً لكتابه المبين أن تكون عاجزة وقاصرة عن مسايرة الركب؟! وكيف لا تكون لغة العلم والفنون كلها بجميع تخصصاتها؟! ليس هو - وربِّي - عجزاً فيها، لكنَّه عجز في أبنائها المنتسبين لها، وضعف في اعتزازهم بها، وإلا

(١) لماذا اللغة العربية؟، ص١٥.

فاللغة العربية قادرة، كما أنَّها خير لهم لو كانوا يعلمون.

كيف تعجز اللغة العربية الآن وقد كانت شامخة قادرة، وبها كُتبت العلوم، وأُلِّفت المؤلفات في جميع التخصصات؟! مما يؤكِّد أنَّ عجزها ليس عجزاً ذاتياً، بل هو تخاذل بنيها، وضعف في منسوبيها، وهزيمة من عند أنفسهم، ولغتهم العربية براء من ذلك كله.

وليس من العدل في شيء أن تتَّهم اللغة العربية بالعجز والنَّقص والقصور، بسب عجز بنيها وذويها، والمصيبة التي نجنيها على لغتنا الخالدة أنَّ عجزنا وقصورنا في الحديث عنها، والاهتمام بها ينسحب عليها، فتُرمي بالعجز، وما هو إلا عجزنا، وتُرمى بالنَّقص وما هو إلا نقصنا وقصورنا عن القيام بها وبحقها وتقديمها في كل محفل، وخدمتها كما ينبغي، فمواقفنا تجاه لغتنا يؤثِّر عليها سلباً وإيجاباً، ممَّا يضاعف مسؤوليتنا تجاهها، وبذل الأوقات والطاقات خدمةً لها، وفي إبراز محاسنها، وبيان تميزها في استيعابها جميع العلوم والفنون.

وليست مشكلة اللغة العربية مع اللغات الأخرى، ولا مع غير النَّاطقين بها، مشكلتها معنا نحن أبناء اللغة العربية، المنتسبين إليها، المتحدثين بها، فنحن من يُعلي قدرها، ويبرز شأنها تحدثاً بها واعتزازاً، كما أنَّنا سبب رئيس في إقصائها، وفي الحكم عليها بالعجز والقصور في مسايرة ركب التَّقدُّم، وفي عجزها أن تكون لغة العلوم والمعارف على تعدُّدها وتنوُّعها قديماً وحديثاً.

ولذا فأعظم وسيلة ـ في نظري ـ في بيان قدرة اللغة العربية على استيعابها لشتَّى المعارف والعلوم، هو موقفنا نحن أبناء اللغة العربية من اللغة نفسها، ونظرتنا لها، فهي ليست ناقصة حتى نأتي نحن في هذا العصر؛ لنكمِّل نقصها، أو نستر عوارها، وليست ضعيفة حتى تحتمي بنا، وتستند إلينا، لنمنحها من أنفسنا قوة وعزة، ففاقد الشيء لا يعطيه، ولو ادّعى ذلك وأراده؛ ولذا فلا تريد منَّا لغتنا العربية إلا الاعتزاز بها، والاقتناع بقدراتها، وبما حباها الله من مزايا وخصائص، وبما أودعه الله فيها من الإمكانيات والقدرات ما ليس في غيرها، وحين تكون هذه قناعتنا بها،

ونظرتنا إليها، فسيتغيَّر حالنا معها، وفي طريقة تعاملنا ونظرتنا إليها، وسنقف في كل محفل بكل شموخ واعتزاز في الحديث بلسانها، وفي بيان خصائصها.

وكأنِّي بلسان حالها يقول: لا أريد منكم أن تقنعوا الأباعد والأعاجم بقدرتي على مسايرة ركب العلوم، بل أقنعوا أنفسكم وبنيكم بقدراتي، ولا أريد منكم سوى الاعتزاز بي، وأن أكون المقدَّمة في كل محفل، وأن أكون لغة العلوم وحديث المجالس، وحين تكون هذه هي نظرتنا إلى لغتنا، وهذا هو اعتزازنا بها وافتخارنا، فسنكون في غنى عن أن نثبت للآخرين قدرتها وتميُّزها، وفي التَّطبيق غنية عن التَّنظير، والفعل أقوى أثراً من كل قول بليغ.

كما أنَّ اللغة العربية شجرة مثمرة معطاء، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، حين تجد الرِّعاية والعناية بها من ذويها، ولا بدَّ لهذه الشجر من الاهتمام بها، وسقايتها وتغذيتها، ويكون ذلك من خلال ما يأتي:

**أولاً ـ** الإفادة من الأنظمة والقوانين: فما معنى أن تكون اللغة العربية اللغة الرسمية للبلاد ـ كما نصَّ على ذلك النِّظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية ـ ثم لا تكون هي نفسها لغة العلوم والمعارف، واللغة الشَّامخة في التَّدريس في الجامعات، وفي وسائل الإعلام؟ أيُّ تناقض بيّن في ذلك! فلا بدَّ من توظيف النِّظام في خدمتها، وإنَّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

**ثانياً ـ** النَّشر العلميّ: ومن مظاهر تميُّز اللغة العربية في خدمة العلم الكتابة بها، وهو أمر من الأهمية بمكان، فعلى المنتسبين إلى اللغة العربية الغيورين عليها الدعوة إلى نشر بحوث أبناء العربية باللغة العربية، والسَّعي الحثيث والعمل الجاد على إيجاد أوعية نشر باللغة العربية، لها قواعدها وضوابطها وأسسها العلمية، بعيداً عن الرَّكض واللهاث خلف التَّصنيف العالمي للنشر بلغة غير لغتنا، فنحن ـ والحالة هذه ـ نخدم لغتهم واقتصادهم، ولا نخدم لغتنا، بخلاف لو كان لنا أوعية نشر باللغة العربية، وثمَّة جهود تذكر وتشكر في هذا السياق في تعزيز أوعية النَّشر باللغة العربية، ولكننا نطمح إلى المزيد، وإلى تعزيزها ودعمها معنوياً ومادياً.

**ثالثاً ـ** توظيف وسائل الإعلام في خدمة اللغة العربية: فللإعلام أثر كبير في تعزيز اللغة العربية، وفي تقديمها في أجمل معرض، وفي كل محفل. وعلى عاتق الإعلام والقائمين عليه تقع المسؤولية الكبرى، والأمانة العظمى في إبراز اللغة العربية، تحدثاً بها ودعوة إليها، من خلال البرامج التي يقدمها المختصون عن اللغة العربية، في بيان خصائها، وما تميَّزت به، على مرِّ الزَّمان والعصور، وفي إقامة النَّدوات وحلقات النِّقاش عن اللغة العربية يشارك فيها المهتمّون بهذا الجانب، ويتحدثون فيها بلغة علمية، وبالحقائق والأدلة والأرقام والإحصائيات عن تميز اللغة العربية في هذا المجال، بعيداً عن الإنشائية والواقع الذي نعيشه، وتعيشه لغتنا العربية[1].

**رابعاً ـ** الجانب الاقتصادي، وحاجة سوق العمل، وربطه باللغة العربية تحدّثاً وإتقاناً: ولا يصحّ في عالمنا العربي لدى حديثنا عن الاقتصاد، وعن حاجة سوق العمل أن تكون اللغة العربية بمنأى عن ذلك كله، فهي جزء من اقتصادنا، يقوى بقوتها، ويضعف بضعفها، بيد أنَّ الواقع على خلاف ذلك وللأسف، فحين يتحدَّث أهل الاقتصاد يجعلون لغتهم العربية خلف ظهورهم، وييمِّمون شطر اللغات الأجنبية، ولا يخفى أهمية الاقتصاد، وقوة تأثيره، فيجب توظيف ذلك في خدمة اللغة العربية، في التَّحدّث بها أولاً، بأن تكون اللغة الرَّسميَّة للحديث حتى مع الوفود الأجنبية. كما أنَّ اللغة العربية مجال استثمار، بما تحويه من العلوم والمعارف، وبما تملكه من رصيد علمي، فضلاً عن المتخصِّصين فيها والنَّاطقين بها، ومن المهم الإفادة منه اقتصادياً، وسيعود أثر ذلك ونفعه على اللغة العربية، وهذ مجال خصب للمختصين، ودعوة لأهل الاقتصاد من الإفادة من اللغة العربية في هذا المجال، إلا أنَّ الواقع يشهد بخلاف ذلك، فلا نرى من بعض أهل الاقتصاد اعتزازاً بلغتهم، ولا توظيفاً لها في المحافل المحلية والعالمية، بل على النَّقيض من ذلك أحياناً، يتجلى ذلك جلياًّ لدى حديث بعضهم عن حاجة سوق العمل، فصار ذلك ذريعة إلى إقصاء اللغة العربية، بل دعوة إلى التَّخفُّف منها، ومن بعض تخصّصاتها، بحجة أنَّ سوق العمل لا يحتاجها، ولا أحد يطلبها، وأنَّ مَنْ يتخصَّص فيها لن يجد وظيفة بعد

---

(١) ينظر: اللغة العربية والإعلام، ص٤٤.

تخرجه، وهم بهذا الموقف المشين يرسلون رسائل سلبية تصريحاً وتلميحاً بضرر تعلُّم لغتهم العربية، وأنَّها لن تفيدهم في حياتهم المعيشية، فيكون تعلُّمها ضرباً من ضياع الوقت، ومن بعثرة الأموال والجهود، وصرفها فيما لا نفع فيه على الأفراد وعلى المجتمعات العربية سواء بسواء، وكم ظُلمت لغتنا العربية بسبب هذا المنطق الخطير، مع أنَّ الأمر على النَّقيض من ذلك تماماً، فحتى من الناحية الاقتصادية ـ بغضّ النَّظر عن الجوانب الأخرى ـ فاللغة مورد من موارد المال، ومصدر من مصدر الدَّخل الوطني والقومي لو أحسنوا استغلالها، وأجادوا توظيفها، وفيها من المحاسن والمكاسب والإيجابيات ما يمكن تحويله إلى مشاريع تجارية، وأعمال اقتصادية، ولكن أنَّى لهم ذلك وهم أبعد النَّاس عن علوم اللغة العربية ومنافعها، وخصائصها التي تميزت بها عن سائر اللغات الأخرى.

**خامساً ـ** اللغة العربية وتقنية المعلومات، وبرامج الأجهزة الذكية: نحن في عصر التَّقنية والمعلومات، فيجب أن يكون للغة العربية نصيب في ذلك، ومما يجب التَّنبّه إليه، والحديث عنه في هذا المقام طبيعة العصر الذي نعيش فيه، فهو عصر المعلومات والتَّقنية والاتصالات، ويشهد العالم ثورة علمية، وتسابق محموم في جانب التَّقنية والاتصالات والبرمجة والأجهزة الذكية، وبغضّ النَّظر عن أثرها وتأثيرها الإيجابي والسلبي إلا أنَّ على المهتمِّين والغيورين على اللغة العربية الإفادة من هذه الثورة المعلوماتية، وتوظيفها في خدمة اللغة العربية، من خلال البرامج والتَّقنيات التي تخدم اللغة العربية، وتعرّف النّاس بموضوعاتها ومجالاتها وتقرّبهم إليها، وتسهّل لهم الإفادة منها والرجوع إليها، وثمَّة جهود تُذكر وتُشكر في هذا المجال من بعض الغيورين على لغتهم اللغة العربية، إلا أنَّ الطّموح أكبر من الواقع الذي نعيشه بكثير، وليس لأهدافنا غاية تقف عندها، ويجب أن يكون العمل بقدر الطموح، وسمو الهدف.

**سادساً ـ** اللغة العربية والتعليم الجامعي: وفي حديثنا عن اللغة العربية والعلوم لا يصحّ أن نغفل أهميَّة الجامعات، وأثرها البارز والمهم في تعلم اللغة العربية وتعليمها، فهي من أهم الحاضنات للعلم والعلماء، ولها الرِّيادة وقصب السَّبق في

تعليم الطلاب شتَّى المعارف، وجميع العلوم بكل تخصصاتها وشتى علومها، مهما كان التَّخصّص والمجال الذي يدرس فيه الطلاب، كيف لا يكون ذلك و «وجامعات البلاد العربية بأساتذتها وطلابها أول من تقع عليهم مسؤولية إحياء اللغة العربية، وجعلها لغة العلوم والثقافة، والدرس والتعليم كما كانت سابقاً في الحضارة العالمية السامقة»[1].

ومما هو معلوم ـ أو مما ينبغي أن يُعلم ـ أنَّ النُّهوض باللغة العربية، والارتقاء بها في مصاف اللغات الأخرى، وفي توظيفها في الجانب العلمي والتّقني؛ يقع على عاتق الدُّول والمؤسَّسات، وليس الأفراد، فلا يصحّ أن تكون الجهود في خدمة اللغة العربية جهوداً مبعثرة، ولا اجتهادات فردية، ولا محاولات تُقدَّم على استحياء يعتريها النَّقص، وتعزوها الحاجة، وينقصها الدَّعم المادي والمعنوي، فلا بدَّ من تكاتف الجهود وتضافر الأموال والطَّاقات، ولا بدَّ أن تكون للدول العربية وقياداتها ومؤسساتها وجميع قطاعاتها التَّعليمية وغيرها أثر بارز وجهد كبير في خدمة اللغة العربية، جهد يليق باللغة العربية، ويوازي مكانتها، وحينها وبقوة النظام والجهات الداعمة سنثبت للعالم أجمع أنَّ لغتنا العربية لغة علم وسيادة وريادة، وأنَّها جديرة بكل ما قيل عنها ويقال من أوصاف العظمة والجلال، وأنَّها حقاً قمينة أن تكون لغة القرآن الكريم، وما بُذل فيها وما يُبذل كان في مكانه وفي مصرفه الصحيح.

## وختاماً:

حديثنا عن لغتنا العربية هو حديث عن الهوية، وحديث عن الذَّات، وحديث عن وجودنا وبقائنا بين الأمم، وعليه فيجب الاعتناء بأمرها، والاهتمام بشأنها، ولا يصحُّ أن يكون حديثنا عنها واهتمامنا بها مرتبطاً بمناسبة، أو بيوم في السنة، أو بأي حدث آخر، وكأنَّ حديثنا عنها أداء واجب، أو استجابة لصوتها الخافت في

---

(١) تعريب العلوم وأسلمتها، ص٢٣.

ضمائرنا، وكأنَّنا بتلك الجهود الخجولة نسكِّتُ صوتها، أو نضمِّد جرحها بمسكِّنات لا تغني فتيلاً. لغتنا العربية ليست بحاجة إلى يوم عالمي، أو حدث يذكِّرنا بها، فهي معنا تأكل وتشرب، وتقوم وتقعد، ويجري حبها في عروقنا، وفي نبض قلوبنا، ويجب الاهتمام بها، والحرص عليها، بقدر حبنا لها، وبقدر مكانتها، وعلو قدرها، وسمو كعبها على لغات الأرض جميعاً.

فهذه هي نظرتنا للغتنا العربية، وتلك هي قناعتنا، ولا يضيرنا ولا يضيرها نظرة الجاهلين إليها من أبنائها، فضلاً عن مواقف الحاقدين وحاسديها من أعدائها.

حفظ الله لغتي، وحفظ أهلها المنتسبين إليها، المتحدثين بها، والله أسأل أن يبارك في جهود القائمين عليها، ويسدد خطاهم، ويوفقهم في خدمتها. والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

## مراجع الدراسة:


- الإعلام العربي وتحديات العولمة، صقر تركي (القاهرة: وزارة الثقافة المصرية، ١٩٩٨م).
- اللغة العربية والإعلام، محمد سالم رشاد (القاهرة: دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ م).
- أهمية الحفاظ على اللغة العربية في عصر العولمة، عبدالله بن حمد الحقيل، جريدة الجزيرة القطرية، رقم العدد (١٤٦٦٦)، نوفبر ٢٠١٢م .
- البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبدالفتاح الخالدي، ط٣ (عَمَّان: دار عمار للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ).

- تعريب العلوم وأسلمتها، أبو بكر أحمد السيد، ط١ (الكويت: دار القلم، ١٤٠٩هـ).
- لماذا اللغة العربية؟، عدنان رضا النحوي، ط١ (الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ).

# واقع اللغة العربية
# في المجالات العلمية والتقنية

د.عبدالله بن محمد بن مهدي الأنصاري

الأستاذ المشارك بقسم النحو والصرف وفقه اللغة

كلية اللغة العربية ـ جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية

## ملخص البحث:

تناول البحث واقع اللغة العربية في مجال العلم والتقانة الحديثة، منطلقًا من مكانة اللغة العربية وسماتها المميزة لها من بين اللغات، مكتفيًا بأهمها، وهي: كونها لغة آخر رسالة سماوية عالَمية لأهل الأرض في كل زمان ومكان، وما لها من تراث غني بالنصوص الفصيحة المحافظ عليها من التغيير والتحويل عبر القرون، وتُعَدُّ تلك النصوص من أهم منطلقات الدراسات التطويرية لهذه اللغة في المجال العلمي وغيره، ثم ما تتمتع به اللغة العربية من خواص لغوية ذاتية جعلتْها أقرب اللغات العالمية في الكمال اللغويّ، وما لها من نظام قاعدي منضبط يكفل لها المعيارية، وما جرى بها من بحث علميٍّ هائل في غالب المجالات العلمية المعروفة، وتوصَّلتْ الدراسة إلى أنّ ما جدَّ على العربية من انحسار وتأخرٍ لمكانتها في هذا العصر؛ لم يكن بسبب لغويٍّ ولا علميٍّ، ولكنه بسبب ما طرأ على سلطان أهلها من ضعفٍ أخَّرهم عن لحوق رَكْب الحضارة الحديثة بأدواته ووسائله اللغوية وغيرها، ولا سيما في المجال التقاني الحديث.

## مُقَدّمةٌ مُمَهِّدة:

إنَّ اللغةَ هي البيانُ الذي علمه الله للإنسان إذْ خلقه، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[1]، أي علَّم جنس الإنسان الإبانةَ عن المعاني التي يريدها، والتعبيرَ عما في نفسه ليفيدَه غيرَه ويستفيد هو[2]، وبهذا البيان تميز جنس الإنسان عن سائر الحيوان، وذلك أن البيان هو المنطق الذي هو الصلة بين الإنسان وبني جنسه، وبه يُعبِّر عن عقله وتصرفاته وحكمته، فعلمه الله ما ينطق به ويُفهم غيره ما عنده، وفيه إشارة إلى تميزه بالعلم عن غيره[3].

وتُعَدُّ اللغةُ شَريانَ حياةِ أهلها؛ بما تمدهم به من علوم ومعارف، وباستعمالهم لها في تواصلهم وأنشطتهم في كل مجالات الحياة، وبها يُدوِّنون تاريخهم ومآثرهم، وبها يتصل آخرُهم بأولهم، وباللغة تنطلق الألسن من خرسها وعِيِّها وحَصَرِها، والعقولُ من ركودها، والفِكْرُ من جموده، فهي أهم مقومات بناء الأمم وتنميتها، وارتقائها وتطورها، وبناءِ العلاقات بين شعوبها، وهي وعاء العلم والمعرفة.

ومن شأن اللغات التَّطوّرُ من حال إلى حال، بتأثير ما يحيط بها من شؤون الحياة، وما يطرأ على مجتمعاتها من عوامل خارجية، أو بيئيةٍ، أو اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وجغرافية، ونحو ذلك، كما تتطور بتأثير ما يكون لها من خصائص ومقومات داخلية في اللغة نفسها، تتعلق بدلالات ألفاظها، أو بأبنيتها، أو بتراكيبها، أو بمجازاتها وآفاق استعمالها، أو أنظمتها التداولية والخطابية.

وبعد نزول القرآن الكريم تطورت اللغة العربية تطورًا هائلاً، حتى استنارتْ بها الدنيا كلُّها، بما صاحبها من نور الوحي الذي نزل بها، وبما تأيَّدتْ به من سلطانِ المسلمين وغَلَبتِهم على سائر الأمم، فتفتقت العلوم والمعارف عند أهلها، فأبدعوا

(١) سورة الرحمن، الآيات (١-٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير،٢٣٣/٢٧، وتفسير الرازي، ٧٦/٢٩.

(٣) ينظر: تفسير الرازي، ٧٦/٢٩.

فيها وبرعوا في كل فنٍّ، واقتبس منها العالَم فجعلوا يطورون الدراسات في لغاتهم، حتى إذا ضعُف المسلمون وانحسر سلطانُهم، بدأ الضّعف يدبّ في جسم اللغة العربية شيئًا فشيئًا، وجعلتْ معاول الهدم تتناولها، وتضرب بُنيانها، وتثير عليها القتار، وتتجاذبها وتُهيل عليها التراب من كل صوب، رغبة في طمس معالمها وزعزعتها عن مكانتها، غير أنهم ألفوها قارَّةً رزينةً غيرَ مستكينة، فما فَلَّ حدَّها، ولا انثلم حوضُها؛ لأنها في حِمى القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والتراث الإسلامي الزاخر الفاخر، والموروث العربي من الآداب الوافرة الزاهرة النادرة.

ولكن أعداء الإسلام استطاعوا عزل العربية عن المجالات الحيوية المؤثرة في الحضارة الإنسانية، وأهمها المجال العلمي التطبيقي، فحينما هيمنوا على العالَم الإسلامي فرَضُوا لغاتِهم الأعجميةَ في التعليم وشؤون الحياة العامة، واضطهدوا اللغة العربية؛ لأجل أن يتمكنوا من السيطرة على الإنتاج الفكري، فإن اللغة أكبر مؤثر في الفكر الإنساني.

## حقيقة العربية ومكانتها:

تعتلي اللغة العربية الذروة العليا في خصائصها اللغوية، في أصواتها ومفرداتها، وفي تصريفها واشتقاقها، وفي تراكيبها وإعرابها، وفي قواعدها الإملائية وخطوطها، وفي نطقها وأدائها، وفي منطقها وواقعيتها، وفي بلاغتها ودلالتها، وفي أوزانها الشعرية، وإيقاعاتها وقوافيها، ولا تُعلَم لغةٌ توازيها في شيء من ذلك، وقد ذكر علماء العربية ضروبًا مما اختصت به العربية دون سائر اللغات، وذكروا من جُملة ما تمتاز به: الإعرابَ، والتوسعَ في المجاز، وكثرةَ المترادفات، وغزارةَ المشترك اللفظي، حتى قيل إن الله تعالى اختار اللغة العربية لكتابه الذي أنزله مُعجِزًا؛ لهذا السبب[1]، ونقل ابن فارس عن بعض العلماء أنه قال: «إنّ أحدًا لا يقدر أن يترجم القرآن إلى غير العربية، كما تُرجمت الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وتُرجمت سائر كتب الله إلى العربية؛ لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع

(١) ينظر: الصاحبي، ص٤١، والمزهر، ١/ ٣٢٤-٣٢٧.

العرب»[1]. والواقع يصدق هذه المقولة، فإنّا لم نجد أحدًا استطاع نقل القرآن إلى غير العربية منذ نزل، بل لا نجد أحدًا يستطيع أن ينقل الأساليب العربية في سائر الكلام إلى اللغات الأخرى على طريق التطابق والتماثل، وإنما ينقلون المفاهيم نقلاً عاماً.

وقد اتسعت اللغة العربية لنقل العلوم والمعارف على تنوعها واختلافها، وترجم النَّاس بها العلومَ والمعارِف من اللغات الأخرى، ولم يجد العرب في أيام قوَّتهم حاجة إلى الاستيعاض عن العربية بغيرها لأجل نقل العلوم وتعليمها، والدليل على ذلك كتبهم التي نجدها في علوم الطبيعة والطب والفلك والتربية والسلوك، والسياسة والاجتماع، واللسانيات بعامة، وغير ذلك.

ولقد سبق العربُ غيرَهم من الأمم الأوروبية وغيرها إلى اكتشاف الطريقة العلمية والمنهج التجريبي، القائم على الملاحظة والتجربة، والنظريات العلمية التي كانت السبب الأول في النهضة العلمية العالمية[2]، ولولا ما أصاب العربية بانهزام أهلها في الأندلس، وأمام التتار والمغول في بغداد، والمستعمرين المفسدين من الأوربيين، لما نهض العلم الحديث إلا باللغة العربية[3]، وهذا يدل دلالة واضحة على أن تراجع اللغة العربية في المجالات العلمية في هذا العصر كان بسبب ظروف أصابت أهلها وبيئتها، لا بسبب نقص فيها أو ضعف في مقوماتها اللغوية، كما سيتبين.

هذه حقيقة العربية، ولا تُعلَم لغةٌ على وجه الأرض بلغت هذا المبلغ، كما لا تُعلَم لغة حملتْ رسالةً سماويةً عامة لجميع أهل الأرض غيرُ العربية، وثبت لها من العمومية ما لم يثبت لغيرها، حتى ورد في أثر مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن العربية ليست لأحدكم بأبٍ ولا أُمٍّ، إنما هي لسان، فمن تكلم

(١) الصاحبي، ص٤١.

(٢) ينظر: العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، ص٦.

(٣) ينظر: اللغة العربية وتحديات العولمة، ص٩٩.

بالعربية فهو عربي»[١] ويعني ذلك أنها لغة عالمية تُلحِق مَن تكلم بها بأهلها، وهذا من خصائصها وإن لم يكن منهم في أصله.

والعربية أقرب اللغات وأنسبُها للمنطق العلمي، والسبب في ذلك اطراد قياسها، وقوة عِللها واتساقُها، وانضباطُ قواعدِها وقوانينها، واتسمتْ بمزيد من الكمال اللغوي، وقد أدرك ذلك حذَّاقُها من العلماء، قال ابنُ جني: «إن هذه اللغة اختصّت بمزيد من الشَّرف، وتميّزت بخصائص الحكمة، ونِيطتْ بها علائق الإتقان والصنعة»[٢]، وقال ابن منظور الأنصاري: «إنّ الله سبحانه قد كرَّم الإنسان وفضّله بالنطق على سائر الحيوان، وشرّف هذا اللسان العربيَّ بالبيان على كلِّ لسان، وكفاه شرَفًا أنه به نزل القرآن...»[٣].

إنَّ هذه الخصائص والميزات التي ثبتت للعربية تقتضي النَّظرَ من جديد إلى حال اللغة العربية في هذا العصر، وما بُذل من جهودٍ لوضعها في قوالبَ عصريةٍ تلامس الواقع المشاهَد، وتلتقي مع الدراسات اللغويةِ الحديثة لدى الأمم الأخرى في مساراتها ونتائجها، ولا سيَّما ما يتعلق بالبحث اللغوي، والاستعمالات العلمية والتقنية، ونحو ذلك مما تُسهم به اللغة في إنارة الفكر البشري، بجديد غير مفصول عن القديم، ولا متراخٍ عن الحديث، مما يواكب التطور الحضاري والتقني الحديث.

ومما ينبغي لأهل العربيةِ تحديدُ مواطن الخلل الذي أصاب الحركة العلمية باللغة العربية، وأدّى إلى تقهقرها عن مكانتها العلمية؛ بسبب خمول أهلها وتأخرهم عن غيرهم في مجال استعمالها وتطويرها علميًّا وفق متطلبات العصر، وتحديدِ العقبات والأسباب التي أدَّتْ إلى هذا التأخر، وتشخيص الحال لمعرفة الواقع، مع البحث فيما يمكن اقتراحه واتخاذه لعلاج هذه المشكلة وتلافي ذلك القصور.

---

(١) أورده ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في (اقتضاء الصراط المستقيم، ١/٢٧٥) في خبر طويل، ثم ذكر أنَّه ضعيف. ولكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح.

(٢) ينظر: الخصائص، ١/ ١ (بتصرف يسير).

(٣) لسان العرب، (المقدمة) ١/٧.

## اللغة العربية والعلم:

ادَّعى بعض المغلوبين على أمرهم من المتأخّرين المتأثّرين باللغات الأعجمية وأهلِها أنَّ العربية لغة دين وأدب، لا لغةُ علم، وادَّعوا أنَّ النَّتاج الثَّقافي الغربي يصعب نقله إلى اللسان العربي[1]، ومنهم مَن ادَّعى أنَّ اللغة العربية تَحُوْلُ بين الإنسان والفهم العلمي، وأنَّها لا تصلح للحضارة، ولا للتطوّر الفكري، وأنها عبارة عن تقاليد جامدة...[2].

وحملهم على ذلك مجموعة من الشُّبَه الكالحة التي رانت على قلوبهم، وأدانت نفوسهم، واستولت على عقولهم، فمنها ما يجدون عليه كثيراً من العرب في هذا العصر من استعمال اللغات الأعجمية في تدريس العلوم وفي البحث العلمي، وكذلك غَلَبةُ اللغات الأعجمية على كثير من المجتمعات العربية في التواصل والمخاطبات، وشيوعُ المصطلحات الأعجمية في الشارع العربي أَنَّى اتجهتَ إليه، وادَّعَوا أنَّ العصور التي سادت فيها العربية فكانت فيها لغةَ العلم والمعرفة في العالم، كانت المعارفُ فيها قليلةً، ولم تتطوَّر وتَكْثُرْ كحالها في هذا العصر[3].

وبناءً على هذه الدعوى وقفوا ضد ترجمة المصطلحات، وحاولوا سدَّ أبواب الثَّراء اللغوي في العربية (مثل: النحت، والاشتقاق، والتَّعريب)؛ للتضييق على العربية، حتى يضطرّ أهلُها إلى استعمال اللغات الأعجمية قسْرًا، ويهجروا العربية فتموت، وسيتبع ذلك موتُ العقل العربي، الذي لا يفهم إلا العربية، ويضمحلُّ التراثُ العربي كله؛ لأن اللغة نافذة إلى العقل وأداة الفكر[4]، وبذلك يسهل على أعداء الإسلام القضاءُ عليه مِن قِبَل أهلِه، ويكونُ العرب هم آفةَ العربية، وحُقَّ للعربية عندئذٍ أن

---

(١) ينظر: اللغة العربية وتحديات العولمة، ص٩٥، لهادي نهر، نقلاً عن أنيس فريحة.

(٢) ينظر: أبحاث في العربية الفصحى، ص٢٠٨-٢١٠.

(٣) ينظر: اللغة العربية وتحديات العولمة، ص٩٣.

(٤) ينظر: اللغة، لفندريس، ص٢٤، وعندما تموت اللغات، ص٤٤٣.

تقول: «مِنْ مَأْمَنِه يُؤْتَى الْحَذِرُ»[١].

ويمكن إيجازُ الردِّ عليهم في خمسة الأمور الآتية:

**أولاً-** إنما دَعَوْا إلى ذلك تأثُّرًا بالاستعمار الأجنبي للعالم الإسلامي، واستجابةً لنَزعات الصهيونية العالَمية، مستغلين انغماس العرب في العاميات والثُّنائيَّات اللغوية، وإعجابِهم بما أفرزته علوم التكنلوجيا[٢] المعاصرة بلغات أهلها، و«إنَّ أعداء العربية من أكثر الناس معرفة بالرسالة التي أدتها للإنسانية في الماضي والحاضر، ولِما امتازَتْ به من خصائص التَّطوّر العريق، وما يمكن أن يكون لها في حقل المعارف البشرية من مركز فاعلٍ بالغ التأثير»[٣]، وقد أكَّد العلاّمةُ أبو الحسن الندويُّ أنَّ علماء العربية نشروا اللسان العربي في العالم بالعلم، والدعوة إلى الله، فأحبَّهم العالَم وخضع لثقافتهم ولغتهم وحضارتهم، قال: «فكانت لغتهم هي لغة العلم والتَّأليف في العالَم المتمدن، من أقصاه إلى أقصاه، وهي اللغة المقدسة الحبيبة التي يؤثرها النَّاس على لغاتهم التي نشؤوا عليها...»[٤].

**ثانياً-** هذا الذي يردده بعض المستشرقين والمستعمرين (المخرِّبين) وأتباعهم من طلابهم العرب المتأثرين بهم، قد ردَّه بحجج واضحة وبراهينَ ساطعة جمعٌ من علماء الغرب أنفسِهم، حملهم الإنصافُ والموضوعية العلميةُ على النطق بالحق في مقالات متعددة اعترفوا فيها بسعة العربية، وبراعة علماء العربية، وأثنوا على ما أضافوه للحضارة الإنسانية، وأكدَّوا أن الحضارة

---

(١) ينظر: جمهرة الأمثال، ٢٧١/٢، وهو مَثَلٌ، يُضرَب للشَّر يأتي من حيثُ لا يُتَوَقَّع. وذكر أبو هلال العسكري في الجمهرة أنَّه للحكيم الجاهلي أكثم بن صيفي. ينظر: الجمهرة،١٥٥/٢، ٢٧١.

(٢) تكنلوجيا: كلمة يونانية الأصل، بمعنى علم التقنية، كالعلوم المرتبطة بالفنون الدقة والتطبيقية. (ينظر: المنجد، ص١٥١، والتعليم الحاسوبي، لعبد الرحمن الجمهور، ص٣٤).

(٣) ينظر: اللغة العربية وتحديات العولمة، ص٩٤ (بتصرف يسير).

(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، ص٤٢٠.

الغربية قامت معتمدة على جهود علماء العربية[1].

**ثالثاً**- تمثِّل اللغة العربية حضارةً راقيةً لهذه الأمة، وتراثاً غنياً عظيماً، ولها بُعدٌ تاريخيٌّ مشهور ومشهود، ولها ثبات ورسوخ لا تضاهيها فيه لغة، ومحافَظَة لا نظيرَ لها على أنظمتها الصوتية وجذورها المعجمية ودلالاتها الاشتقاقية، وإعرابها الذي يُعدُّ مفتاح مغاليق التَّركيب، والفارق بين المعاني المتكافئة، وهو كاشف العلاقات الكائنة بين مفردات أنساقها، والهادي إلى النُّطق السَّليم والأداء المستقيم[2].

**رابعاً**- إنَّ اللغة العربية لغة علوم الشريعة والدِّين القويم، وكانت لغةَ العلوم العقلية والتَّجريبيَّة (كالطب، والكيمياء، والفلك، والرِّياضيَّات، وطبقات الأرض...) وهي اللغة المناسبة عمليًّا لعلوم التِّقانة الحديثة ومتطلباتها الحوسبية؛ لأجل ما تمتاز به من سعةٍ ومرونَة ومجازٍ وانضباط في قواعدِها.

وتكتظ المكتبة العربية بما يدلُّ على الإنتاج الضَّخم لعلماء العربية في شتى العلوم، كمثل كتب المصطلحات، نحو: (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) للتهانوي، و(التعريفات) للجرجاني، و(مفاتيح العلوم) للخوارزمي، و(إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد) للحكيم محمد بن إبراهيم الأنصاري، و(الكليات) للكفوي، و(تهذيب الأسماء واللغات) للنووي، و(طلبة الطلبة) للنسفي...إلخ. وهذه أمثلة قليلة منها، وقُلّ مثلَ ذلك في شتى العلوم والمعارف المترجمة وغيرِها، وهذا تغني مشاهدتُه عن الاستدلال عليه.

**خامساً**- برع كثير من علماء العربية في شتى العلوم، وأبدعوا فيها واخترعوا، وكانوا يكتبونها باللغة العربية، ومنهم علماءُ من أصولٍ أعجمية، بل

---

(١) ينظر أمثلة لتلك المقالات في: علماء العرب وما أعطوه للحضارة، ص١٧ وما بعدها، والعلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، ص٢٦٧ وما بعدها، وأثر العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك، ص١٥وما بعدها.

(٢) ينظر: المزهر، ١/٣٢٧.

إنهم يتقنون لغاتهم الأعجمية، ومع ذلك كتبوا المعارف والأفكار والآداب باللغة العربية، ونقلوا تلك العلوم وترجموها إلى العربية، فوجدوها بحراً لا ساحل له، وعيوناً لا تَنْضَب في استيلاد المصطلحات للمستجدات، والتَّعبير عن المعاني بالألفاظ والعبارات، ولم يقف علماء العربية عند النَّقل والتَّرجمة، بل أضافوا ونقَّحوا وانتقدوا ما وجدوه من المعارف بلغة السُّريان واليونان والهند والقبط والفرس وغيرها[١]، وقد أكد قدري حافظ طوقان أنَّ الإفرنج استفادوا من التُّراث العربي، وأُعجبوا بالمؤلفات النَّفيسة الوافرة التي كتبها علماء العربية، ثم أضاف أنّ «جامعة (برنستون الأمريكية) قَدَّرت خدمات الحضارة الإسلامية وأفضالَها على الإنسانية والثقافة، فراحت تخصِّص أفخم ناحية في أجمل أبنيتها لمآثر عَلَم من أعلام الحضارة الخالدين (الرازي)، كما راحت تنشئ دارًا لتدريس العلوم العربية والبحث عن المخطوطات وإخراجها ونقلها إلى الإنجليزية...»[٢].

والمراجع (المشار إليها في حاشية هذا البحث) كافيةٌ في إقناع المنصف والباحث عن الحق، وتدلُّه على زيف ما سبق مما يردِّده مَنْ يقلِّل من الجهود الجبَّارة لعلماء العربية، والثَّراء العظيم للسان العربي في كل فنٍّ، ومن الأمثال الرائعة في هذا الشأن العلامةُ الكنديُّ (حوالي٢٦٠هـ)[٣] وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، من ولد الأشعث بن قيس من الأزد، ويُلقَّب بفيلسوف العرب، وقد أحصى له ابن النديم مائتين وخمسةً وثمانين مؤلَّفاً علمياً، في الفلسفة والهندسة والمنطق والفلك والطب

(١) ينظر: علماء العرب وما أعطوه للحضارة، ص١٧، والعلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، ص٤٦٨، وأثر العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك، ص١٧وما بعدها.

(٢) علماء العرب وما أعطوه للحضارة، ص١٨.

(٣) ينظر: الأعلام، للزركلي، ١٩٥/٨.

وكثيرٍ غيرِها[١]، وأثنى عليه وعلى مؤلفاته كثيرٌ من علماء الإفرنج[٢].

وتُعَدُّ جهود علماء العربية في المجال العلمي باللغة العربية هائلة ورائعةً، ولقد شملتْ العلوم الشرعية واللغوية والطبيعية والفلسفية وغيرَها، ومن أهم ما ساعَدهم على البراعةِ في نقل المعارف إلى اللغة العربية أنَّ مشروعهم بدأ إبَّان قوَّة العربية وصفائها وبُعدِها عن اللَّحن، وكانتْ أوائلهم من أقحاح العربِ وخُلَّصِهم، فقد كان في طليعة مَن برع في الفلك والطب والكيمياء والرياضيات خالدُ بن يزيد بن معاوية القرشي الذي عاش من ١٣هـ إلى ٨٥هـ، وجعفر الصادق القرشي (٨٠ـ١٤٩هـ)، وجابر بن حيان الأزدي (١٩٧هـ)، وأبو بكر الرازي (٣٢٠هـ)، وأبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (٣٩٨هـ)[٣]، وكثيرٌ غيرُهم. والذي يهم البحثَ هنا أن كل هذه النماذج المذكورة والمشارِ إليها كانت باللغة العربية، وفي المجال العلمي الصِّرْف.

**سادساً** ـ لم يكن استعمال العربية في تعليم العلوم الحديثة ونقلها خاصًّا بالماضي، بل قد استمر في العالَم العربي إلى العصر الحديث، فقد اعْتُمِدَتْ اللغة العربية في تدريس العلوم العصريَّة في المدارس التي أنشأها محمد على باشا، وعُرِّبت جميع العلوم فيها، وكذا كان الوضع في لبنان، فقد كانت الآداب والطب والصيدلة والعلوم باللغة العربية في الكليَّة السُّوريَّة الإنجيليَّة في لبنان، وأُلِّفتْ كُتُبٌ باللغة العربية، وعُرِّبَتْ أخرى في الطب، والصيدلة، وعلوم الفلك، وطبقات الأرض، والرِّياضيَّات، والجبر، والهندسة، والتَّشريح، والصناعات في هذا العصر، بل ظلَّت الجامعة السُّوريَّة في الشام والجامعات في السُّودان تُدَرِّس جميع العلوم العصرية

(١) ينظر: علماء العرب وما أعطوه للحضارة، ص١١٢-١١٤.

(٢) ينظر: الفهرست، ص٥٢٢.

(٣) ينظر: إسهام علماء العرب والمسلمين في الكيمياء، ص٨٣ وما بعدها، وموسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، ص١٧ وما بعدها.

باللغة العربية إلى يومنا هذا[١]، فهذه أدلة واقعية تصل الحاضرَ بالماضي، وتشهد بصلاح اللغة العربية لتدريس العلوم العصرية وترجمتها ونقلها إلى اللسان العربي.

## متى توصَف لغة من اللغات بأنها لغة علمية؟.

عندما يقال: «اللغة العلمية» تنصرف الأذهان إلى اللغة الذائعة الصيت في العالَم، ويغلب استعمالها في المجالات العلمية والفكرية بعامة، وهذا مفهوم قاصرٌ لما يُمكن أن يُسمى بـ(اللغة العلمية)، فلا ينبغي إطلاقه وتعميمه في تحديدها، ومن هنا رأى بعض اللغويين أنه لا يصح أن يقال بوجود لغة توصَف بأنها اللغة العلمية؛ لأن كل لغة يمكن أن تكون لغةَ علم وغيرِه؛ إذا توافرت لها الشُّروط المناسبة، واستُعْمِلتْ للعلم وخُدِم بها. وهم يرونً أنَّ العلم في ذلك كغيره من الفكر الإنساني والتصوُّرات الأخلاقية والأدبية والجمالية ونحوها[٢]، وهذا صحيح، ولكنَّ الحقيقةَ أنه يوجد لمقولة «اللغة العلمية» هذه مفهومان اثنان:

**الأول** - حقيقةُ لغة من اللغات من حيث هي لغةٌ، وقُدرتُها الكامنة في ذاتها ومقوِّماتِها وأنظمتِها، سواءٌ استُعملتْ للعلم أم لَم تُستعمَل، وهذا غير متحقق في كلِّ لغةٍ، بل تتفاوت فيه اللغات تفاوُتًا كبيرًا.

**الثاني** - القيمةُ التي تكتسبها اللغة بما أُتيحَ لها من ظروف وأسباب ووسائل طارئة (مثل: قوة التأثير السياسي والثقافي لأهلها، واستخدامِها في مجال العلم تعليماً وتأليفًا ونشرًا ونحو ذلك)، وهذا تشترك فيه جميع اللغات، ومنْ هنا قال اللغويُّ الغربيّ أنْدريه مارتينيه[٣] - وهو لغويٌّ معاصر ولد في عام ١٩٠٨م - : «وإذا كانت الألسنُ الإنجليزية والعربيةُ والإسبانيةُ تغطِّي في الوقت الحاضر جزءاً هاماًّ من العالم، فهذا لا يعود لنوعياتها اللغوية، بل

---

(١) ينظر: أبحاث في العربية الفصحى، ص١٩٤-١٩٧.

(٢) اللغة العربية وتحديات العولمة، ص٩٦-٩٧.

(٣) ينظر لترجمته: وظيفة الألسن وديناميتها، ص٣٠٢.

بناءً على ظروفٍ من كلِّ الأنساق لا صلة لها بشكل اللسان»[1]، فمن هذه الناحية لا توجدُ لغة أحقُّ من غيرها بصفة اللغة العلمية، وهذا المفهوم هو الذي يستحضره من يرفض وجود لغةٍ يقال لها «لغة علمية»، وهو رأي لا ينبغي تعميمه كما سيتبيَّن.

وحديثنا عن اللغة العلمية هنا مقيَّدٌ باجتماع المفهومين معًا؛ على أنّ المراد باللغة العلمية نوعٌ يتحقق فيه قَدْرٌ كافٍ من صفات الكمال اللغوي ذاتًا وواقعًا، وبناءً على هذا يُمكننا أنْ نتصوّر ـ مبدئيًّا ـ أنَّ اللغة العلمية ــ بالمفهوم العلمي لا بالماديّ ــ هي: اللغة الملائمة لأنْ تكونَ وعاءً يستوعب المعاني العلميةَ كلَّها ووصفَها على المراد، وتكون لها مرونةٌ وسَعةٌ لتوليد المصطلحات العلمية الصالحة على مدى تطوّر الفكر الإنساني في الماضي والمستقبل.

وبهذا تصلح لأن تكون أداةً لوصف الحقائق العلمية وصفًا دقيقا متكاملاً، يحقق تواصلاً علميًّا لمستخدميها في الميادين المعرفية، وتُصاغُ بها المفاهيم العلمية دون غموض أو لَبْس، وهذا من أهم سمات المصطلح العلمي[2] الذي تتطلبه لغة العلم، وليس من الإنصاف العلمي إطلاقُ سمةِ اللغة العلمية على لغة لم يصدُق عليها هذا الوصف؛ لأنه الوصف الذي يُؤَهِّل اللغةَ لأن تبلغ مبلغًا مرضيًّا من الكمال اللغوي الذي يتأتَّى للإنسان تصوُّرُه علميًّا عندما يتجرد من نوازع الهوى والعاطفة.

ومن الجهة المنطقية قد يصعب تصورُ هذا في لغةٍ من اللغات؛ لخضوع كل لغة للمستوى الفكري لدى مستعمليها، ولا يخلو الفكر الإنساني من القصور في أمَّة من الأمم في بعض الجوانب والمجالات، ولا سيَّما المجالات التي تتطلب وعياً علمياً مثالياً، وهو الوعي الذي يرقى باللغة إلى تطويرها علمياً؛ ولأجل تلك الصعوبة نجدُ تردُّدًا ــ عند بعض المتحمسين لتفضيل بعض اللغات ــ في الحكم على لغة بأنها لغة علمية قطعاً من النَّاحية العلمية المجردة، ومن الأمثلة على ذلك أنَّ اللغوي الفرنسي

(١) السابق، ص١٦٨-١٦٩.

(٢) ينظر لهذه الفكرة: المصطلح العلمي وتأسيس المفهوم، ص٦٤-٦٥، والأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص٢٥-٢٦.

فندريس قال عن اللغة الإغريقية: «لا نعلم أنَّ الوجود قد رأى أداةً أكملَ منها في التعبير عن الفكر الإنساني»[١]، ثم استدرك ـ منصرفًا عن قناعته الخاصة إلى المنطق العلمي ـ فقال: «ولكن إذا علمنا أنه قد أمكن للغات أخرى من نوع آخر أن توفي بالحاجات المتنوعة التي تطلبها أفكار لا تقل عن الأفكار الإغريقية ثراءً وتعقيدًا، رأينا أنه من العبث أن نبحث عن المثل الأعلى للكمال اللغوي في نوع من اللغات دون سواه»[٢].

وهذا الذي قاله فندريس ليس ببعيد، غير أنه يتحدث عن الكمال اللغوي، وقد لا يكون الكمال اللغوي شرطًا في اللغة العلمية، أو في بعض مستوياتها على الأقل، وإن كان اتصاف اللغة بالعلمية نوعاً راقياً من أنواع الكمال اللغوي بلا ريب، فالكمال نفسه يتفاوت؛ إذ كلُّ لغة يمكن أن يصفها أهلُها بالكمال اللغوي فيما يخصهم، وهم في ذلك صادقون؛ لأنهم يعبِّرون عن كفايتهم اللغوية المحَقَّقَة بلغتهم الخاصة، وأمَّا من الناحية العلمية الموضوعية فليستْ اللغات في ذلك سواءً، بل يتوقَّف على المستوى الثَّقافي لأهل اللغة إلى حدٍّ كبير، مع تحَقُّق المعايير العلمية الداخلية في اللغة نفسها، ومن ثَمَّ أمكَنَ ـ ولو جزئيًّا ـ أنْ تُوصَف بعضُ اللغاتِ بأنَّها علميةٌ، وأنْ توصفَ لغاتٌ أُخَرُ بأنَّها لغاتٌ غيرُ علميَّة بهذا المفهوم، وَفْقًا لتلك المعايير.

وأهم الشروط العلمية الداخلية للغة التي يمكن أن توصَف ـ في المنظار العلمي ـ باللغة المعيارية ما يلي:

**أولاً ـ** أن تكون لها جذور عميقة ثابتة، يُبنى عليها ما سواها، وتُمكِّنُها من الامتداد بالاشتقاق منها، وتتمثَّل هذه الجذور في المواد الصَّوتيَّة التي تُبنى منها الصِّيغ والمفردات المعجمية.

**ثانياً ـ** أن تكون ذاتَ قواعدَ قياسية منضبطة، في أبنيتها وتراكيبها وأساليبها؛ ليُمكِنَ القياسُ عليها واطِّرادُها، وإثباتُ صحتها علمياً، ولا يمكن للحقائق

---

(١) اللغة، لفندريس، ص٤٢٠.

(٢) السابق، نفسه.

العلمية أن تأتلف دون توحيدها وجمعها وفق قواعد لغوية منضبطة، «فاللغة تحتاج إلى قواعد، ولو لم يكن للتَّأليف بين الوحدات اللغوية سبُلٌ متَّفَقٌ عليها؛ لانهار التَّواصل»[1]، والمطلوب في اللغة المعيارية أو النموذج اللغوي الأمثل أن تقع تلك القواعد في نماذج محدَّدة، يُعدُّ الخروجُ عنها انتهاكًا لقوانين اللغة.

**ثالثاً -** أن تكون أنظمتها مُعَلَّلَة مُبَرهَنةً؛ لأن المعرفة لا تثبت بلا برهانٍ، واللغة العلميةُ لا بدَّ لها من موافقة المنطق العلمي؛ لتوافق الحقائق العلميةَ موافقةً غَير مشبوهة.

**رابعاً -** أن توجد فيها أدواتٌ للرَّبط والتَّعليق؛ لأجل بناء أنظمتها بناءً محكماً متناسباً، تتعالَق فيه المفردات والجمل والأساليب على نحوٍ واضحٍ في نسَقٍ واحد، وهذا من أهمِّ ما تحتاجه الصِّياغة في اللغة العلميةً؛ لأجل الرَّبط بين المفاهيم الدقيقة والمصطلحات والأفكار المنطقية.

بهذه الضَّوابط يمكن أن تشكِّل اللغةُ قواعدَ ثابتةً تقضي بصحة كل ما وافقها، وبعدم صحة ما خالفها، وعلى هذا يكون التَّطوُّر اللغوي الذي يتناسب مع اللغة العلمية منضبطاً ومستمرًّا، وتُرفض الأشكال الأخرى التي لا تتوافق مع هذه الضوابط مهما كانت في الواقع اللغوي المنطوق[2]، وبناءً على هذا كله هل يمكن أن نستنتج صحةَ وصْفِ اللغة العربية بــ(اللغة العلمية)؟.

## هل يصدقُ وصفُ (اللغة العلميةِ) على اللغة العربية؟.

كلُّ اللغات تُعَدُّ نشاطاً بشرياً، ونتاجاً اجتماعياً، وتمثِّل فِكْرَ أهلها المتحدثين بها، وتوجد في كلّ لغة من لغات العالَم عناصِرُ لفظيةٌ ومعنويةٌ للتعبير عن الأفكار وتصوير

(١) بذور الكلام (أصل اللغة وتطورها)، لـجين أتشسن، ص١٨٢.

(٢) ينظر حول هذا المفهوم للغة المعيارية: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص٢٤٢-٢٩٠، ومعجم اللسانيات، لجورج مونان، ص٤٢٩-٤٣٠، والقضايا الأساسية في علم اللغة، لكلاوس، ص١٥٨.

المعاني (كالأدوات، والحروف، والأسماء، والأفعال، والجمل، والأساليب[١]، ولا يتأتَّى لوسيلة تواصلية أن تُسَمَّى لغةً إلا بكفاية تمكِّنُ أهلَها من التَّرجمة عن أفكارهم بألفاظهم، قال ابن خلدون ـ رحمه الله ـ (٨٠٨ه): «اعلم أنَّ اللغة في المتعارَف هي عبارة المتكلِّم عن مقصوده، وتلك العبارةُ فعلٌ لسانيٌّ ناشئٌ عن القصْدِ بإفادة الكلام...، وهي في كلِّ أمة بحسَبِ اصطلاحاتهم»[٢]. يريد أنَّ اللغة ـ بحسب العُرْف السائد عند النَّاس ـ هي الألفاظ التي يُعبِّر بها الإنسان عن المعاني، ولا فرق في هذا بين المعاني العلمية وغيرها، فلغة العلم وما سواها من هذه الجهة سواء، وكذلك لغات البشر، غير أنَّ لكل أمةٍ ألفاظَها وطرقَ تركيبِها بحسبِ ما اصطلحوا عليه.

وعبَّر بعض اللغويين الغربيين عن ذلك قائلا: «والواقع أنَّنا لا نعلم إطلاقًا لغةً قد قصُرَتْ عن خدمة إنسان عنده فكرة يريد التعبير عنها»[٣]. فاللغات من هذه الناحية سواء؛ لأنها جميعاً تعبِّر عن الأفكار والمعارف بحسب قوانين كلّ لغة وبلاغة أهلها، ومن هنا نجد أنَّ الله سبحانه وتعالى بعث رسله بألسنة أقوامهم؛ لأجل أن يبلِّغوهم شرائع الله ويبيِّنوها لهم بلغاتهم، إذ كانت اللغات أدواتٍ بيانيَّةً على حدٍّ سواءٍ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾[٤]، دلَّت هذه الآية على أنَّ الإبانة عن المعاني تكون بجميع اللغاتِ، بحسَب اصطلاحاتِ أهلِها وطُرق تركيبهم للألفاظ.

ولا ريبَ أنَّ البيانَ المشار إليه عامٌّ للمعاني العلمية وغيرِها، والمرسلونَ أُرسلوا بالعلم، وأعلاه وأهمُّه وأشرفُه علمُ توحيد اللهِ وبيانِ أحكام شرعه، ولكن الله تعالى خصَّ اللغة العربية بالبيان المعجِز الذي تَقصُر عنه جميع اللغات[٥]، ذلك أنَّه تعالى

(١) ينظر: اللغة، لفندريس، ص٨٩، وبذور الكلام (أصل اللغة وتطورها)، ص٣٠٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص٥٤٥.

(٣) اللغة، لفندريس، ص٤٢١.

(٤) سورة إبراهيم، الآية (٤).

(٥) ينظر للتدليل على ذلك وتوضيحه: الصاحبي، ص٤٠-٤٣.

ضمَّنَها كتابه الذي جعله للنَّاس كافة، ولخَّص فيه جميع الكتُب السابقة، وضمَّنه أصول جميع العلوم، فكانت العربيةُ لغةً لكل علم بهذا الإعجاز، الذي يشمل النَّظمَ والبيان، والمعنى والأسلوب، كما عَمَّ المعارفَ المختلفة المتنوعة، ولم يقع هذا في لغة غير العربية[1]. فمن هذه الناحية يحقُّ أنْ تُعَدَّ لغةٌ من اللغات لغةً علميةً؛ بتخصيص اللّه لها بالإعجاز في هذه المسألة خاصة، وهذا شيء لم تحظَ به لغة غيرُ العربية، وبعد هذه المسألة خصائص تميِّز اللغةَ التي ينبغي أن تكون هي لغةَ العلم، وأن تكون لغةً عالَميةً في عصر مجتمع المعلومات، وقد تشترك فيها مجموعة من اللغات، مع تفاوتها فيها، وسوف أورد لها أمثلة مع بيان حظِّ العربية منها:

**أولاً** ـ أن تتكامل فيها سمات النموذج الأمثل لما يمكن أن يُسَمَّى بـ(اللغة المعيارية)، وهو النموذج اللغوي الأكمل، ولو في مدَّة زمنيَّة معيَّنة، وهذا هو الوصف الذي تقدَّم الحديث عنه وبيانُه في وصف اللغة العلمية، وسماتُه موجودة كلها في اللغة العربية، ولا ندَّعي انفرادها بها، وإنْ كنَّا نرى أنَّ حظَّها منها قد لا يكون متوافراً إلّا في قليل من اللغات؛ بسبب ما للعربية من سَبْق في ضبط قوانينها التَّركيبيَّة، وتحديد نظامها الصَّرفي، وأوزان صيغها وموادها اللغوية بطريقة لم تُسبق بها في سائر اللغات، ولم تُعلَم لغةٌ لحقتها فيها إلى يومنا هذا.

ومن أهم ما دَعم العربية في ذلك أنَّ الدراسات اللغويةَ فيها نشأت باللغة العربية المدروسة نفسها، وفي أوْج قوتها وتماسكها، ونشأت في ظل ثقافة عربية قوية، تتوافر فيها المواد اللغوية الفصيحة، وتنهل من النصوص الصحيحة الصافيةِ أنَّى شاءت، فقد وفَّر القرآن الكريم، والحديث الشريف، ودواوين الشعر العربي، ومخزون العرب من الأمثال والخطب والقصص، مصادرَ ثابتَةً واسعةً وغنيَّةً لعلماء اللغة العربية، ولا ريب أنَّ بناءَ أيِّ دراسةٍ لسانيةٍ بناءً مُحكَماً قوياً ينبغي أن يعتمد أساساً على

(١) ينظر: تفسير القرطبي، ١/٧٣- ٧٧.

النُّصوص اللغوية الفصيحة المتوافرة؛ لأنَّها تُعدُّ النّموذج الأمثل للغة المعيارية، والنَّشاط الكلامي التَّواصلي للناطقين بها.

وأمَّا في أوروبا فقد «نشأ الفكر اللغوي في ظلال القواعد اللاتينية، ثم تطوَّر بتأثير الفكر اللغوي العربي»(١)، ولمَّا جاء العصر الحديث نهض الفكر اللغوي عند غير العرب متأثِّراً بعواملَ غير لغوية، فقد نهض مدفوعًا بالتكنلوجيا الحديثة خاضعاً للنَّشاط العلمي غير اللغوي، فكان تأثيره فيه أقوى وأظهر، فلم تكن له القوَّة اللغوية التي للفكر اللغوي العربي عند نشأته، فقد نشأ لغوياً محضاً قبل أن تنصهر فيه المصطلحات العلمية الجديدة، ونشأ لأجل اللغة نفسها، لا لخدمة أمور مادية خارجية، وهذا قد يُفسِّر لنا سرَّ تفوُّق الدِّراسات اللغوية الغربية في مجالٍ ما يُسمَّى حديثاً بـ(علم اللغة التطبيقي) مع قصورها عن العربية في مجال العلوم اللغوية المحضة.

**ثانياً.** مما ينبغي أن يتحقق في (لغة العلم) أن يكون لها نموذج مثالي من الإرث اللغوي، غيرُ قابلٍ للتَّغيير في أصله اللغوي الأساس، مع قبوله لوصفه بما يُكَيِّفُه ويجعله قالَباً صالحاً للمتغيرات اللغوية الطارئة، وانسجامه مع التطوُّرات الحياتية مع الأزمان والظروف الجديدة، فبدون هذا النموذج ستضمحلّ اللغة، وتتحوَّل إلى أنماط لغوية أخرى؛ لأنَّ قواعدها ستخضع للمتغيرات كلَّما اتَّسعت البيئات وتطوَّرت الصِّناعات، وعندئذ ستتغير المفاهيم العلمية التي كُتبت بها، وتضعف دلالاتها، أو تنتقل بترجمتها إلى لغاتٍ أخرى، فتلفُّها الغرابة، ثم يكون مآلها الانقراض(٢)، ومن ثَمَّ قال بعضٍ اللغويين الغربيين: «إنَّ المعرفة شيء يسهل فقدانه، وقد تضيع عند ترجمتها إلى لغة أخرى، وهذا أمر نشاهده في الثَّقافات غير الكتابية، والتي تبذل قصارى جهدها كي تنقل حكمتها التراثية»(٣).

(١) تقدُّم اللسانيات في الأقطار العربية، ص١٥١ (المقارنات اللغوية وتاريخ اللغة العربية).

(٢) ينظر: عندما تموت اللغات، ص٧٨ وما بعدها.

(٣) السابق، ص٧٦.

وهنا تكتسب اللغة العربية صفة القوَّة المعيارية، وتبدو أقدر اللغات على أن تكون لغةً علميةً؛ لِما لها من نموذج ثابتٍ، مقنَّنٍ بقواعدَ وضوابطَ غيرِ قابلة للتغيُّر ما بقيتْ، ذلك النَّموذج هو اللغة الفصحى، التي هي القاسِم المشترَك بين جميع النَّاطقين بالعربية، مهما اختلفت لهجاتهم المحلية، وبها تُصاغ العلوم والمعارف في كل زمان ومكان، ولولا هذا النَّموذج الفصيح للعربية، لتحوَّلتْ عبر هذه القرون الكثيرة التي عاشتها؛ لأنَّ اللغة ـ شئنا أم أبينا ـ تتأثر تأثُّراً يصل إلى اختلاف آخرها عن أوَّلها بالزَّمان والمكان[١].

**ثالثاً ـ** ثراء ألفاظ اللغة، ويعني الثَّراءُ الكثرةَ، والغنى الدِّلالي للألفاظ، بأن تكون في اللغة ألفاظ كثيرة يمكن استعمالها في معانٍ وأغراض متعددة، متَّفقة أو مختلفة أو متضادَّة أو متكاملة، وهذا من أهم ما تحتاج إليه لغةُ العلم؛ لأنَّ المعاني العلمية يجب أن يحافظ عليها بدقة متناهية، لأجل المحافظَة على دلالاتها في كل حال ترد فيه، وبحسب المقامات المتباينة، ومن أهم ما يتمثَّل فيه الثَّراء اللفظي ما يلي:

١. المشترَك اللفظي، وذلك حين تدلّ اللفظة الواحدة على معانٍ متعددة ومتنوعة؛ كلفظة الْعَيْن في العربية، والمحصَن، والساعة، والإمام،...إلخ. نحو: الخميس ليوم من الأيام، واسم مَلِكٍ من ملوك اليمن قديمًا، والثَّوْبِ الذي طوله خمسة أذرُعٍ، والجيش. والغَرْب: للجهة المقابلة للشرق، والسواد، والدلْو العظيمة، وحدّ السيف، والفَرس، وما يقطر من الماء عند البئر فتُغَيِّر رائحتَه، وداء في عين الشاة يسقط منه شعر عينها، وشجرة من شجر الحجاز ضخمة، والجام من الفضة، كل ذلك يقالُ له: غَرْبٌ[٢].

---

(١) ينظر: محاضرات في علم اللسان العام، لـديسوسير، ص٢٩٢-٢٩٣.

(٢) ينظر: الأجناس من كلام العرب، لأبي عبيد، ص١٠٢، ٨٠.

٢. المترادف، وذلك حين يوضَع للمعنى الواحد ألفاظٌ كثيرةٌ كلها تدلّ عليه أو على أنواع منه؛ كما نجد للسيف، والأسد، والرُّمح، والقرطاس، والأصل، والقوس...، ونحو ذلك مما لا يُحصى[١]، نحو: أعطيته، ووَصلتُه، وحبوتُه، وأجديْتُه، وخَوَّلته، ومنحتُه، وأوْليتُه، وأصفيتُه، وسوَّغتُه، وأسْعفتُه، وأسديْتُ إليه، وأنَلتُه، وأجريتُ عليه، ونحلتُه، ورشَيْته، وواسيتُه، وأتحفته، ونفلتُه، وجَبَرْتُه، وأزْلَلتُه...كلُّها بمعنى العطاء[٢]، وقد يدلّ بعضُها على بعض الفروع منه أو ما يتّصل به.

٣. ومن صور الغَناء والثَّراء أيضاً وجود الأضداد في اللغة، وهي الكلمات المتضادة المعاني، أو المختلفة المعاني وإن لم يكن بينها تضاد «إذ الضِّد ضربٌ من الخلاف والمغايرة، وإن لم يكن كلُّ خلاف ضدًّا»[٣]، نحو: شَرَيتُه بمعنى بعتُه، أو اشتريتُه، وصُرْتُه بمعنىً جمعتُه، أو فَرَّقتُه، وفَرَّع: أصْعَدَ وانحدَر، والبَثْرُ للقليل وللكثير، والجَوْنُ للأبيض والأسود[٤]...إلخ.

٤. الاشتقاق: وهو «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنًى ومادةً أصلية وهيئةَ تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة»[٥]، وهو من أهم الرَّوافد المُثْرِيَة للغة، ولا سيَّما اللغة التي يراد لها أن تكون علميةً باشتقاق الأسماء والمصطلحات لجميع المفاهيم العلمية وفق المراد منها عند مستخدميها، وفي كثير من الأحيان تُلجِئُ الحاجة إلى تكوين كلمات جديدة من المواد اللغوية

(١) ينظر كتاب الترادف والاشتراك مظهران من مظاهر ثراء العربية، ص٨٧ وما بعده.

(٢) ينظر: الألفاظ المترادفة، للرماني، ص٤٩.

(٣) شرح التصريف الملوكي، لابن يعيش، ص٩٨.

(٤) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد، ص١٨٥-١٨٩.

(٥) المزهر، ٣٤٦/١ (ناقلاً عن شرح التسهيل).

وفق نظام اللغة وأوزانها؛ لأجل استيعاب ما يرد من مفاهيم جديدة وفقًا للقياس المعمول به في اللغة، فيتحصَّل من ذلك توسيع لمفردات اللغة، ومدٌّ لمعاني صيغها، مع المحافظة على نسقها المنضبط بأوزان ونظام صوتي معيَّن[1].

ومن أهمِّ مظاهر الاشتقاق: اشتقاق الأوصاف والأسماء والمصطلحات من أسماء الأعيان والذوات، ومن الجذور الصوتية الجامدة، ومن المركّبات اللفظية الطويلة، بالنَّحت، والتَّعريب، والتَّرجمة، والاقتراض[2]، والوضع حمْلاً على الأوزان القياسية في اللغة، هذه الظواهر اللغوية كلها تمدُّ اللغة وتغنيها بالمصطلحات والنَّماذج العلمية وفق المفاهيم المتطوِّرة في كل عصر. نحو اشتقاق (تَلْفَزَ، يُتَلْفِزُ، تَلفزةً، فهو متلفز...)؛ قياسًا على: دحرج، يدحرج، دحرجة، فهو مدحرج...، وهو من أوسع الأبواب الثَّرية في اللغة العربية[3].

ولا تُعلَم لغةٌ أغنى من العربية في هذه المجالات، وبه يُمكنُها استيعاب العلوم العصرية، بترجمتها وتعريبها والاقتراض ووضع الألفاظ المرادفة دلالياً لمفاهيمها، ونحو ذلك، ويَتَّضح ذلك في معاجم اللغة العربية المشهورة، وقد خصَّصه بعض المؤلفين بمؤلفاتٍ مستقلة، ككتاب (الفروق اللغوية) لأبي هلال العسكري (ت٤٠٠هـ)، وكتاب (الألفاظ الكتابية) لعبد الرحمن الهمذاني (ت٣٢٠، وقيل:٣٢٧هـ)، و(الأجناس من كلام العرب) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، و(ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) للأصمعي (ت٢١٧هـ) وله كتاب في الأضداد أيضا، و(الألفاظ المترادفة المتقاربة المعاني) للرماني

---

(١) ينظر: من أسرار اللغة، لإبراهيم أنيس، ص٥٢، والأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص٣٥.

(٢) وهو أخْذُ كلمة من لغةٍ وإدراجها في لغة أخرى بالمفهوم نفسه، وقد يستدعي ذلك تغيير بعض أصواتها أو صيغتها ووزنها. ينظر: المصطلح العلمي في اللغة العربية، لرجاء وحيد دويدري، ص١١٠.

(٣) ينظر: الاشتقاق، لعبد الله أمين، ص: ي،١، ومن أسرار اللغة، ص٥٢-٥٤.

(ت٣٨٤هـ)، و(الأضداد) لابن السّكيت (ت٢٤٤هـ)، و(الأضداد) لأبي حاتم السجستاني (ت٢٤٨هـ)، وغيرها كثير من الأعمال اللغوية لأئمة اللغة العربية الذين عُنوا بهذا الجانب من الجمع اللغوي وتفسيره.

**رابعاً**- تمتلك اللغة العربية مقوِّمات بالغةَ الأهمية في عصر مجتمع المعلومات، ويُنظر إليها في قمةِ ما تُعتبرً به اللغةُ المثاليةُ في هذا العصر، وهي:

١. كمالُ نظامِها الصوتيِّ وقوتُهُ، ويتمثل ذلك في الخصائص الصوتية لصوامتها وصوائتها، فالصوامت في اللغة العربية تغطِّي الحيِّز الصوتي لدى الإنسان كاملاً، تبدأ من أقصى الحلق مما يلي الحنجرة إلى الشفتين، وما من منطقة في هذا الحيّز الفموي إلا وللعربية فيه أصوات، وهذا يعطي الصوت العربي اتِّزاناً واتّساقاً تتباعد فيه المخارج، فتسهل على أعضاء النُّطق، وتستغني بها عن المخارج الشديدة التَّقارب، حيثُ يثقل النُّطق؛ ولذلك ينفر نظام اللغة العربية من الكلمات ذوات الحروف الشديدة التَّقارب، فإذا وصل التَّقارب إلى درجة التَّجانس، لجأ العربي إلى الإدغام؛ لتخفيف النُّطق وتقليل الجهد على أعضائه.

وأمَّا الصوائت فصوائت العربية هي الحركات الثلاث المعيارية، وهي أكثر الحركات وجودًا في اللغات العالَمية، وتُعدُّ النَّموذج الأمثل في اللغة، فإذا كانت اللغة تكتفي بهذه الثلاث فقط، فإنَّ ذلك يدل على معياريتها وقوة نظامها الصوتي[١].

٢. مقوماتها اللغوية والمعرفية التي سبق الحديث عنها، وأهمها ارتباطها برسالة سماوية عالَمية تحمل عقيدة عالَمية، وقد تحدَّث الدكتور صالح أحمد العليّ رئيس المجمع العلمي العراقي عن اهتمام الأعاجم باللغة

(١) ينظر: علم الأصوات، لكمال بشر، ص٢٣٥-٢٣٦.

العربية وتدوينهم للعلوم بها، ثم علل ذلك قائلاً: «فأمَّا العناية بالعربية فمردها إلى مكانة اللغة العربية عند أهلها، وغناها في المفردات، واستيعاب ثقافة العرب وأفكارهم، ثم جاء القرآن الكريم فعزَّزَها بنزوله بها، وإطرائه مكانتَها، فازدادتْ تأثُّلاً وارتفعتْ مكانَةً»[1].

٣. عدد المستخدمين لها، فمستخدموها من النَّاطقين بها وغيرهم من أكثر مستخدمي اللغات في العالم، وعلماء اللغة يؤكدون أنّ «طاقة اللغة تتوقف على عدد الذين يمارسونها ودرجة تعلُّمهم»[2]. والعربية تعَدُّ لغةً رسميةً في أكثر من اثنتين وعشرين دولة، ولغةً ثانيةً في كثير من الدّول والشُّعوب الإسلامية، ولها امتداد في كل بلد؛ ولذلك تأتي في المرتبة الرابعة عالمياً من جهة عدد المستخدمين، وقبلها: الإنجليزية، فالصينية، فالهندية، حسب الإحصائيات العالمية في كتاب (حقائق العالم) الصادر من وكالة الاستخبارات الأمريكية و(إنكارتا) وأيضاً (إثنولوج)[3].

٤. درجة انتشارها ووجودها في العالَم، فلا يخلو بلد في العالَم منها، ويكفي أنَّ نعلم أنَّ المسلمين لا يخلو منهم بلد، قلوا أو كثروا، وهم مرتبطون بكثير من الألفاظ العربية في عباداتهم - كالأذان مثلاً- والأدعية وقراءة القرآن، واللغات الثلاث التي تقدَّم أنها متقدمة على العربية من حيث عدد المستخدمين ليس لواحدة منها مثل ما للعربية من الانتشار، ويليها في ذلك اللغة الإنجليزية، أمَّا اللغتان الصينية والهندية، فلا تنتشران إلا في شرق آسيا.

٥. أهمية المنطقة التي تمثلها اللغة العربية من النَّاحية الجغرافية، فإنَّ المنطقة العربية التي ترتبط بها العربية تُعَدُّ منطقة استراتيجية مهمة

(١) دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، ص١٤٣.

(٢) اللغة، لفندريس، ص٤٢١.

(٣) ينظر: https://arabic.rt.com/news/786982

جداً في العالَم، وهي تغطي مساحة واسعة، يؤمُّها كثير من طلاب العلم والعلماءِ والسوَّاحِ والسياسيين والعمَّال والتجار...ونحوهم.

٦. الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة في العالَم العربي، وهي أوضاع تجعل لِلُّغة العربية أهميةً كبيرة في العالَم، ويظهر ذلك في التبادل المعرفي، والمؤتمرات العلمية، وعلاقات العالَم مع أطياف المجتمع العربي، وقد ذكر بعض الخبراء اللغويين العرب أنَّ «للعربية إمكانات استثماريةً مثاليةً؛ فقد أشارت دراسة أمريكية أصدرتها رابطة اللغات الحديثة عام ٢٠١٠م إلى أنَّ العربية تعدّ من أكثر اللغات الأجنبية تعلُّماً في الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ زاد عدد دارسيها بنسبة ٨٦٪»[١].

٧. يضطرُّ كثير من مصدِّري الصِّناعات ـ ولا سيَّما التِّجارية ـ إلى ترجمة معلوماتها إلى اللغة العربية؛ لأجل ترويجها في العالَم العربي، ويستدعي ذلك اهتمامهم بالمتخصِّصين في اللغة العربية، وبالبرامج العربية على الإنترنت، وبالمصطلحات العربية.

والشيء الذي ينبغي أن يؤكِّده البحث هنا هو أنَّ هذه المقوِّمات والدِّعامات التي ترشِّح اللغة العربية لوصفها باللغة العلمية، وتدل على قوتها ومثاليتها ـ ولو في زمن معيّن ـ ما كان منها من المفهوم الأول الذي قدمناه للغة العلمية فهو ثابت غير متغيِّر، تحتفظ به العربية في كل مكان وزمان، وأمَّا المفهوم الثاني الذي تعتمد فيه اللغة على المكتسبات والظُّروف الآنيَّة، فإنه معرَّض للزوال، وعدم الاستمرار؛ والسبب الرئيس في هذا التقسيم يعود إلى أنَّ المؤثِّرات والمقوِّمات اللغوية الداخلية تختلف اختلافاً جذرياً عن المؤثِّرات الخارجية؛ لأن المؤثر الخارجي ـ كالزمان والمكان والصناعات والمجتمع

---

(١) انظر: ندوة الدوحة: « اللغة العربية في بيئات ومجالات مختلفة» في ١٤٣٧/٣/٢٦هـ.
https://www.dohadictionary.org/AR/News_Events/Events/Pages/InternationalArabicLanguageDay-symposium.aspx

والآداب والعادات وغيرها ــ مقصورٌ على سببه ومرتبط به ولا يتجاوزه[1]، ووصف اللغة بأنها لغة علمية أو عالمية بالنَّظر لهذا المؤثر الخارجي وحده لا يمكن أن يقبله المنطق العلميُّ وصفًا معيارًا في تقويم اللغة.

وإنَّ مما ينبغي أن يُستنتج من المقدمات السابقة أنَّ اللغة العربية ـ في حد ذاتها ومقوماتها ـ لغة صالحة للبقاء، ويصعب تصوُّرُ زوالها أو انقراضها بحسب تلك المعطيات، وهي بالمفهوم نفسه وما انضاف إليه تُعَدُّ مؤهَّلَةً لأن توصَف باللغة العلمية واللغة العالَمية متى تحقَّقت لها تلك الأسباب المتقدمة.

وإنَّ من الإنصاف أن نذكر في هذا الإطار أنَّ سيادة اللغة الإنجليزية في هذا العصر وشيوعَها في العالَم كان بسبب توافر تلك الأسباب الوقتية، وأهمُّها هيمنة أهلِها وغَلَبتِهم على العالَم ماديًّا وعسكريًّا، ونهوض العلوم العصرية مؤدَّاةً بها، وانتشار التواصل العالَمي بها...، وهي مع ذلك معرَّضةٌ للتراجع والاضمحلالِ في أي وقتٍ آخر؛ متى ضعفتْ تلك الإمكاناتُ الماديةُ، أو تزعزع سلطانُ أهلِها، والسبب في ذلك عدم امتلاكها للمقومات اللغوية الذاتية، والثَّقافية العميقة والأدبية والأخلاقية التي تتوافر للغة العربية.

ومما ينبغي أن تقود إليه النَّظرةُ الفاحصةُ في حال اللغات أنَّ سيادة أيِّ لغة واعتبارَها لغةً عالَميةً باقيةً بالنَّظر إلى الأسباب المكتسبة الوقتية يُعدُّ حُكمًا غير دقيقٍ، أفضتْ إليه نظرة ماديةٌ عاجلة قاصرة، ومن هنا قال أحد اللغويين الغربيين: «وكم من ضحايا لغرور المتمسكين بلسان الثَّقافة الواسع الانتشار»[2] وقال أيضا: «من المهمِّ أن يعي العالَم أنَّ اللغة الإنسانية لن تنسابَ في قالَبٍ وحيد، وأنَّ تعدُّدَ الألْسُن تنضوي في دينامية الإنسانية»[3]، يريد أنَّ اللغة تتطور وفق تطور الإنسان، وعلى هذا لا يتصوَّر في لغة من اللغات أن تبقى على صفة واحدة في جميع الأطوار، حتى وإن كانت لغةً قويةً في ذاتها[4].

(١) ينظر: محاضرات في علم اللسان العام، لديسوسير، ص٣٨-٣٩.

(٢) وظيفة الألسن وديناميتها، لمارتينيه، ص١٦٧.

(٣) السابق، ص١٦٩.

(٤) ينظر حول مفهوم انقراض اللغة وانتهائها كتاب: عندما تموت اللغات، ص٢-٢٧.

## واقع اللغة العربية المعاصر في المجال العلمي والتقني:

إنَّ مما يحقّ للمتأمِّل أن يستنتجه مما سبق من المناقشة: أنَّ واقع اللغة العربية المعاصر في المجالات العلمية والتقنية يُعدُّ منخفضاً عمَّا تستحقه العربية، ولكنَّه مع ذلك لا يزال في تقدُّم وتطوُّر إيجابيٍّ في شتى المجالات والتخصصات، فلا توجد موضوعات عصرية إلَّا وفيها إسهامات مقبولة وعلى مستوى عالي الجودة باللغة العربية، وقد يَعجَب الإنسانُ من شأن العربية في هذا الوصف! بل قد يصعب فهمُه على غير المنصفين، ذلك أنَّ انخفاض مستواها العالَمي بالمقارنة إلى لغاتٍ أخرى يقارنه ثباتُها في خصائصها اللغوية، وتفوُّقُها واستمرار تطورها في مجلاتٍ أخرى، أو على مستوياتٍ تضمن لها البقاءَ والاستمرار والاشتهار في مجال المنافسة اللغوي العالَمي، ويكفي في هذا أن نعلَم أنَّ الذينَ يتربصون بالعربية ويجمعون جهودهم للقضاء عليها باءت جهودهم بالفشل، حين نجحتْ في القضاء على لغات أخرى في مناطقها غير العربية، كما أنَّ التطوراتِ البيئيَّة والسُّكَّانيَّةَ والثَّقافيَّة التي قضتْ على بعض اللغات في العالَم، أو حوَّلَتها إلى أطوارٍ أخرى ــ كما حدث للّاتينية والإغريقية والإنجليزية[1] ــ تلك التطورات هي وغيرها تعرَّضتْ لها اللغة العربية ولم تغيِّرْها ولم تَحُلْ بينها وبين مواكبةِ العصر ولو ببطء.

وبناءً على المفهوم المتقدم للغة العلمية، والشواهد التي تقدَّمَت لِما تتمتع به اللغة العربية من خصائص ومزايا، يستطيع المتأمل أن يحكم بدون تردد أنَّها من أولَى اللغاتِ بوصفها باللغة العلمية، ولكنْ هذا على المفهوم الأول من مفهومَي مقولة «اللغة العلمية» المتقدِّمَين، ثم على بعض المقوِّمات المعاصرة التي اكتسبتها العربية، وأمَّا على المفهوم الثاني فلا زالتْ اللغة العربية دون مكانتها الحقيقية في مجال العلم والتقنية، وأسباب ذلك ومظاهره في العالم العربي كثيرة، أُلخصها فيما يلي:

١. تدريس العلوم ـ ولا سيَّما العصرية ـ باللغات الأجنبية في العالَم العربي والإسلامي عموماً، فأصبح الفكر العلمي مرتبطًا باللسان

(١) ينظر: بذور الكلام أصل اللغة وتطورها، ص٣٨١- ٣٨٤.

غير العربي، وظهرت مدارسُ تدرِّس باللغة الإنجليزية، والفرنسية، أو الروسية، ومن أهمِّ أهدافها تحويل الأمة عن هويتها، ليس إلى هوية أخرى بل إلى (لا هوية)، تحويلها إلى مسخ لا عربي إسلامي، ولا هو لهويتهم ينتسب، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[1].

٢. قلة اكتراث العرب في هذا العصر بفصاحة اللغة وسلامتها من اللَّحن، بسبب تأثير العاميَّات واللغات الأجنبية في العالم العربي، ولذلك شاعتْ الأخطاء اللغوية والألفاظ العاميَّة والأجنبية في الصَّحافة العربية، والبحوث العربية الحديثة، وفي الخطاب العام والمسموع، وفي الشَّارع العربي على اللوحات التجارية والإعلانات وغيرها، وفسدتْ ألسنة المثقفين والإعلاميين بسبب قلة الاكتراث باللغة الفصحى.

٣. ضعف المستوى العلمي لمعلِّمي اللغة العربية، بسبب قبول تدريس أيِّ ضعيفٍ للغة العربية، ولو كان مستواه متدنِّياً؛ فنتج عن ذلك ضعف المخرجات اللغوية، ثم ضعف البحث العلمي.

٤. النظرة الاعتبارية لمن يتكلم باللغة الأجنبية، وإحاطته بهالَة من التقدير والتبجيل والثناء، ويصحب ذلك الاستهزاء والسُّخرية لمن يتكلم باللغة العربية الفصحى، ولا سيَّما في الشَّارع العربي، ومواطن النَّشاط الاجتماعي.

٥. الاستيعاض عن المصطلحات العربية وكثير من ألفاظها بمصطلحات وكلمات أجنبية، أو كلمات غير فصيحة من اللهجات الدَّارجة على ألسنة العوام، وجُعلَتْ مكان المصطلحات الفصيحة.

---

(١) ينظر: www.alukah.net/literature_language/0/41477/#ixzz3jQhQT6c5

٦. الانهزام الداخلي للشَّخصيَّة العربية أمام الشَّخصيَّات الأجنبية، ومن مظاهر هذا الانهزام الاعتزاز بمخاطبة الأجانب بلغاتهم، والكتابة بلسانهم، وتقليدهم في الألفاظ والأساليب اللغوية، ونجد الأجانب متمسكين بلغاتهم وألفاظهم وأساليبهم بكل فخر أمام العرب دون حرج.

٧. النَّظرة المتدنِّية لمن لا يحمل إلا مؤهَّلاً عربيًّا من الكوادر العلمية في العالَم العربي، والتَّقليل من شأنه، فصار التخصص اللغويّ العربي منبوذاً في العالَم العربي.

٨. ضعف ترجمة العلوم والبحوث من اللغات الأخرى، ومن المعلوم منذ قديم أنَّ ترجمة المعارف إلى لغة من اللغات تُكسبُها قوةً وتطوُّرًا وقيمةً إضافيةً كبيرةً، وبالتَّرجمة يُمكنُ تطوير البحث العلمي والاطلاع على تجارب الأمم الأخرى، وإثراء المصطلح العلمي، وإيجاد الحلول لكثير من المستجدات الصِّناعيَّة والتِّجاريَّة وغيرها.

٩. عدم وجود قوانين صارمة لحماية اللغة العربية، ومنعِ العَبَث بها عن طريق تمييعها في اللغات الأجنبية بالرغبة عن ألفاظها ومصطلحاتها وقوانينها والتعبير بها نطقًا وكتابةً، واستبدال اللغات الأجنبية بها.

١٠. التَّأخُّر البالغ في إدخال العربية إلى عالَم التِّقانة، وقد أدى ذلك إلى ضعف المحتوى الرَّقميّ العربي، ولا تزال الأعمال اللغوية العربية في مجال الحاسوب تعاني من الهزال الشَّديد، يستوي في ذلك المؤلَّفات والمدوَّنات والمواقع على الشَّبكة العنكبوتية، وموسوعة البحث الحرة (ويكيبيديا) والبحث العلمي، والدِّراسات والمخترعات العلمية في الجامعات ومراكز البحث...

ويُلحظ أنَّ اللغة العربية في واقعها التِّقاني الآن في تحسُّنٍ مطَّرد، ولكنَّه بطيء ولم يَرْقَ إلى ما يليق بها وبأهلها وثقافتها ومكانتها العالمية حتى الآن، ولتبيان ذلك والتَّدليل عليه أُورد هاهنا إحصاءين أجراهما موقعان مختلفان أحدهما في عام ٢٠١٤م، والثاني في عام ٢٠١٥م لمؤشر وجود المحتوى العربي الرقمي على الإنترنت:

**الأول -** نشره موقع المحتوى العربي المسمَّى (موضوع اقرأ عربي) على الشَّبكة العنكبوتية إحصاءً لمؤشر المحتوى العربي الرقمي جاء فيه: المحتوى الرقمي العربي على الإنترنت، أو كما يسميه البعض المحتوى الإلكتروني العربي، وهو مصطلح يعبر عن مجموع مواقع وصفحات الويب المكتوبة باللغة العربية على شبكة الانترنت[١]:

**نسبة المحتوى العربي على الانترنت في الخمس سنوات الأخيرة ( كل سنة على حدة)**

| السنة | ٢٠١٠م | ٢٠١١م | ٢٠١٢م | ٢٠١٣م | ٢٠١٤م |
|---|---|---|---|---|---|
| نسبة المحتوى العربي من محتوى جميع اللغات عبر السنوات (٪) | ٣,٢٦ | ٢,٨٩ | ٣,٢٥ | ٤,٠٦ | ٢,٧٤ |

**نسبة المحتوى العربي على الانترنت على مدار جميع السنوات منذ تأسيس الانترنت**

| متوسط عدد صفحات المحتوى الكلي (صفحة) | ٧٤,٥ مليار |
|---|---|
| متوسط عدد صفحات المحتوى العربي (صفحة) | ٦٦٠ مليون |
| نسبة المحتوى العربي من المحتوى العالمي (٪) | ٠,٨٩ |

**الثاني -** نشره موقع (يلافيد) على الشبكة نقلاً عن إحصائية من موقع (جوجل) البحثي[٢]:

(١) ينظر: http://mawdoo3.com

(٢) ينظر: https://yallafeed.com

١- انتشار المحتوى الرقمي العربي: لا تتجاوز نسبة انتشار المحتوى الرقمي باللغة العربية حاجز الـ ١,٥٪ ، فيما يُتوقّع أن ترتفع النسبة إلى ٣٪ هذا العام.

٢- نسبة المحتوى العربي: يشكّل المحتوى العربي حوالي ٢٪ فقط من مجمل المحتوى المنتشر على شبكة الإنترنت عالمياً[١].

٣- عدد المستخدمين العرب: يصل عدد مستخدمي الإنترنت العرب إلى حوالي ٧٪ من مجمل عدد مستخدمي الإنترنت على الصعيد العالمي.

٤- نسبة المحتوى العربي على Wikipedia: تصل نسبة المحتوى العربي الموجود على موقع Wikipedia اليوم إلى ٠,٨٢٪ فقط، أيّ أقل من ١٪ من إجمالي المحتوى المتاح في الموقع.

٥- رضا الشباب العرب عن المحتوى العربي: ٤٨٪ من الشباب العرب غير راضين عن جودة المواقع الإلكترونية المحلية، و٤٧٪ منهم غير راضين عن جودة المحتوى في المواقع الإلكترونية العالمية المعرَّبة.

إنَّ هذا التَّباطؤ والضَّعف الذي تظهره هذه النِّسَب يُصَوِّرُ لنا واقعًا غيرَ مرْضِيٍّ لنا أهل العربية، ولكنه جاء في مصلحة أعداء الإسلام والعروبة، وهنا تبدو خطورتُه أكثرَ وأشدَّ وقعًا؛ لأنه يفتح على أهل الإسلام ثغورًا يسهلُ على عدوِّهم الولوجُ منها للنيل منهم.

ومن أهمّ الأسباب التي أدَّت إلى هذا الضعف والتأخر ـ في رأي البحث ـ تردّد علماء اللغة العربية في معالجتها آلياً، وتأخّر المؤسسات التَّعليميَّة في الاهتمام

(١) ارتفعت النسبة هنا عما كانت عليه في الإحصاء الأول بسبب التفاوت الزمني، فقد كان الإحصاء الأول في عام ٢٠١٤م، وهذا الأخير في عام ٢٠١٥م، وهذا يدل على صعود وتحسّن، ولكنه ببطء.

بإدخال الدِّراسات الحاسوبيَّة المتطوِّرة ضمن برامجها الهامة، وهذا قد أضرَّ بالعربية في هذا العصر وأخلَّ بسرعتهم في التَّطور العصري، وانعكس ضرره على سائر النَّشاط العربي في جميع المجالات، وفتح عليهم ثغورًا لمن يستغل هذا الخلل للطَّعن في الثَّقافة الإسلامية والعربية على العموم.

ومن هنا تتكرر دعوات الباحثين المخلصين للغة العربية إلى ضرورة تغيير هذا الواقع المرّ، مؤكدين أنَّ العصر الذي نعيشه اليوم هو عصر مجتمع المعرفة، ومن لا يملك المعرفة والتَّقنية فسيضطر إلى البقاء خارج العصر؛ وأنَّ المجتمع يجب أن يكون قادراً على استعمال عقله لإنتاج المعرفة والعلم، وابتكار وتصنيع التَّقنيات المادية والاجتماعية المناسبة لنهوض وطنه(١).

والمجال التِّقاني الذي يمثله المحتوى الرَّقمي على الشَّابكة الضوئية يُعَدُّ الآن أهمَّ المجالات الخادمة للعلم والمعرفة، وأشدَّها تأثيرًا في العالَم؛ لكونه أداةً فعَّالَة في تدوين المعارف وإظهارها ونشرها ودراستها، ولذلك نجد المثقفين يبادرونه فيستخدمونه في المجالات الثَّقافيَّة والاقتصاديَّة والصِّحيَّة والاجتماعيَّة والصِّناعيَّة والسِّياحيَّة والمكتبيَّة والتِّجاريَّة...إلخ، على مستوى الأفراد والحكومات والمراكز والمؤسسات والشَّركات وغيرها، فإنَّ المعرفة التي تُعَالج فتوضع في تقنية المعلومات؛ يسهل نشرها وتداولها وفهمها وتعليمها، ويشترك في ذلك العلماء اللغويون والفنيّون التِّقانيّون، وطلبةُ العلم والمدرِّسونَ والباحثون في جميع مجالات المعرفة وجمع المعلومات والتخصصاتَ(٢).

لقد أصبح استخدام لغة من اللغات في مجال التِّقانة اليومَ من أهمِّ ما يرقى بها، ومن أقوى ما يعود عليها بنتائج واقعية مؤثِّرة في مكانتها اللغوية على المستوى العالَمي والمعرفي، بسبب اتساع هذه الأداة وتسارعها وانتشارها ومرونتها، ومِنْ ثَمَّ

---

(١) ينظر: http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=12196، نقلاً عن: العلم واللغة متى يتكلم العلم العربية؟، للدكتور محمود فوزي المناوي، ط١ (الجيزة، مصر: المكتبة الأكاديمية، ٢٠١١م).

(٢) ينظر لمزيد من التفصيل والمعلومات في هذا المجال: المصطلح العلمي في اللغة العربية، ص٣٧٢-٣٧٤، والتعليم الحاسوبي، ص٦٨ وما بعدها.

يزداد متكلمو اللغة ومستخدموها وناشروها باستمرار وبسرعة، ولو حظيت اللغة العربية باهتمام وعناية لائقة بمكانتها العالَمية واللغوية في التِّقَانة، لَمَا فاقتْها لغةٌ من اللغات في هذا المجال؛ لِما تَقَدَّم ممَّا تتميَّز به عن سائر اللغات، ولقد بَيَّنَتْ مجموعةٌ من الدراسات الحديثَة الخطواتِ التي تكفل للعربية بلوغَ هذه المرتبةَ، ووضَّحتْ كيفيةَ إيداع المعرفة باللغة العربية في الحاسوب، وطرقَ معالجتها آليًّا[١]، وكنتُ قد خصصتُ في هذا دراسة مستقلةً سابقةً، ومِن ثمَّ لا أرى حاجة في تكرارها هنا[٢].

وإنَّ أهمَّ داعم يدعم العرب في النهوض بالعربية في مجال العلم والتقانة ما سبق بيانه في هذا البحث من أدلةٍ وحجج على ما تمتاز به العربية من إمكانات نادرة، تلك الإمكانات التي مكَّنَتْ علماء العربية من نقل العلوم من كل التخصصات المتاحة إلى اللغة العربية في العصور الأولى، وجعَلَتْ العربيةَ لغةَ العلْم العالَميةَ إبّانَ قوةِ سلطان المسلمين وغَلَبَتِهم على من سواهم من الأمم، فكان البحث العلمي كله باللغة العربية، في علوم الطبيعة والطب والفلك والرياضيات والمنطق واللغويات والآداب، وكلِّ المعارف، ولم تضق العربية عن استيعاب هذه العلوم، وهذه كتبهم بين أيدينا شاهدةً وناطقة بذلك.

## الخاتمة ونتائج الدراسة:

جاءت هذه الدراسة مضغوطة ومجملة في بيان أهمِّ ما يصوِّر مكانة اللغة العربية، ويوضِّح خصائصها وما تمتاز به، ويبيّن واقعها الماضي والحاضر في المجالات العلميَّة والتَّقنيَّة خاصة؛ لأن الحكم على واقع اللغة العربية يقتضي النَّظر في حالها القديم والحديث، ومن ثَمَّ اقتضت هذه الدِّراسة الوقوف عند أهمِّ المسائل التي بدا أنَّها تفي بموضوعها على هذا المستوى، وهي: مقدمة ممهِّدةٌ لتناول اللغة العربية

(١) انظر المرجع السابق نفسه.

(٢) وهي بحث: علاقة النحو العربي بالمعاجلة الآلية للغة، نشر ضمن أعمال مؤتمر اللغة العربية والدراسات البينية بجامعة الإمام ١٤٣٦هـ.

بالدراسة والوصف، ثم بيان حقيقة اللغة العربية ومكانتها العالَمِيَّة والواقعيَّة، ثم مسألة علاقة اللغة العربية بالعلم والمعرفة الإنسانية، ثم عرَّج البحث على استفهامين اثنين جعلهما محور الدِّراسة والمناقشة علميًّا:

الأول ـ متى توصف لغة من اللغات بأنها لغة علمية؟.

والثاني ـ هل يصدق وصف (اللغة العلمية) على اللغة العربية؟.

ثم انتهت الدراسة بالتفصيل في واقع اللغة العربية المعاصر في المجال العلمي والتقني بناءً على ما تقدم من الحقائق العلمية التي توصَّل إليها البحث.

ويتلخص ما توصَّل إليه البحث من النتائج فيما يلي:

١. سعة الأدلة الواقعية على بروز المكانة الخاصة للغة العربية، وأنَّها تزداد قوةً مع الحياة في كل عصر، وتلك معجزة من معجزات هذه اللغة، والسبب في ذلك ثباتُها اللغوي وملاءمتُها للأغراض المختلفة، وقَبولُها لاحتواء الجديد.

٢. سَبْقُ اللغةِ العربية في المجال العلمي شمل وضعَ العلوم والمصطلحات الجديدة باللسان العربي، ونقلَ العلوم والمعارف من لغات عدة إلى العربية، في أيام قوة العربية وصفائها وبُعدها عن اللحن، فأسهم ذلك في بقائها لغةً للعلم والتعليم في كل العصور.

٣. وصف اللغة المعيارية، وإيضاح الكمال اللغوي، وبيان صفة اللغة التي يتحققان فيها.

٤. قد يطلق وصف (اللغة العلمية) على لغة من اللغات، وقد استبانت الدراسة أنَّ اللغة العربية أحقُّ لغات العالَم بهذا الوصف عند النَّظر إلى صفاتها اللغوية الذاتية، وهي الصفات التي تعطيها الحظَّ الأوفر من الكمال اللغوي والمعيارية اللغوية.

٥. يوجد انحسار لمكانة اللغة العربية في هذا العصر من جهة الوصف الخارجي المبني على المستجدات العصرية، والمرتبط بالقوة المادية لأهل العربية، وبمستوى الاتصال العالَمي عبرَ التقانة، ولكن للعربية حركة دائبة في النهوض، ولها تحسُّنٌ واضح على المستوى التقاني غير أنه لايزال دون ما هو مرجوّ.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## مراجع الدراسة:


- أبحاث في العربية الفصحى، غانم قدوري الحمد، ط١ (الأردن: دار عمار، ١٤٢٦هـ).
- أثر العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك، د.علي عبد الله الدفاع، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ).
- الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ وأختلف في المعني، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق عبد المجيد دياب، ط١ (القاهرة: دار الفضيلة، ١٩٩٨م).
- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، د.محمود فهمي حجازي، ط١ (القاهرة: دار غريب، ١٩٩٥م).
- إسهام علماء العرب والمسلمين في الكيمياء، لعلي عبد الله الدفاع، ط١، ١٤٠٣ه مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الاشتقاق، عبد الله أمين، ط٢ (القاهرة: مكتبة الخانجي،١٤٢٠هـ)
- الأعلام، خير الدين الزركي، ط٩(بيروت: دار العلم للملايين،١٩٩٠م)
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، الإمام ابن تيمية، تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل، ط١ (الرياض: وزارة الشؤون

الإسلامية، ١٤٢٤هـ).

- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، الرماني، تحقيق فتح الله المصري، ط١ (المنصورة، مصر: دار الوفاء،١٤١٧هـ).
- بذور الكلام: أصل اللغة وتطورها، جين أتشسن، ترجمة وفيق فائق كريشات، ط١ (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٩م).
- الترادف والاشتراك مظهران من مظاهر ثراء العربية، عبد العزيز بن حميد الحميد، ط١ (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ).
- التعليم الحاسوبي، عبد الرحمن الجمهور (الرياض: مطابع أضواء المنتدى،١٤٢٣هـ)
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، د.ط (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).
- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ).
- تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ، وقائع ندوة جهوية ، الرباط، ١٩٨٧م.
- ثلاثة كتب في الأضداد، للأصمعي، وللسجستاني، ولابن السكيت (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩١٣م).
- الجمع لأحكام القرآن، الأنصاري القرطبي (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط١ (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٤هـ).
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار (بيروت: دار الكتاب العربي).
- دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، صالح أحمد العلي،

ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ).

- شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، ط١ (حلب: المطبعة الصليبة، ١٣٩٣هـ).
- الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق مصطفى الشويمي (بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر، ١٩٦٣م).
- علم الأصوات، كمال بشر (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠م).
- العلم واللغة متى يتكلم العلم العربية؟، د.محمود فوزي المناوي، ط١ (الجيزة، مصر: المكتبة الأكاديمية، ٢٠١١م).
- علماء العرب وما أعطوه للحضارة، د.قدري حافظ طوقان (الرياض: منشورات الفاخرية، بيروت: دار الكاتب العربي).
- العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، حربي عباس، وحسان حلاق (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٥م).
- عندما تموت اللغات: انقراض لغات العالَم وتآكل المعرفة الإنسانية، ديفيد هاريسون، ترجمة محمد مازن جلال (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٣٢هـ).
- الفهرست، محمد بن إسحاق النديم، تحقيق ناهد عباس عثمان، ط١ (عمان، الأردن: دار الضياء، ١٩٨٥م).
- القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكرو، وجان ماري، ترجمة منذر عياش، ط٢ (بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م).
- القضايا الأساسية في علم اللغة ، لـ(كلاوس هيشن) تعريب الدكتور سعيد حسن بحيري ، ط١ (القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٢٤هـ).
- لسان العرب، ابن منظور الأنصاري ، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت).

- اللغة العربية وتحديات العولمة، هادي نهر، ط١ (إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ١٤٣١هـ).
- اللغة، جوزيف فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ط١ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م).
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الشيخ أبو الحسن الندوي، ط٤ (الكويت: مطبعة الفيصل الإسلامية،١٩٨٥م).
- محاضرات في علم اللسان العام، فرديناند ديسوسير، ترجمة عبد القادر قنيني (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨م).
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي ، بعناية محمد أحمد جاد المولى وعلى البجاوي ومحمد أبو الفضل (بيروت: دار الفكر).
- المصطلح العلمي في اللغة العربية عمقه التراثي وبعده المعاصر، رجاء وحيد دويدري، ط١ (دمشق: دار الفكر، ١٤٣١هـ).
- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، ط١ (الرباط: منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف دار الأمان، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).
- معجم اللسانيات، بإشراف جورج مونان، ترجمة د.جمال الحضري، ط١ (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات،١٤٣٣هـ).
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (تركيا: المكتبة الإسلامية).
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي (بيروت: المكتبة العصرية،١٤٢٢هـ).
- من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، ط٨ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية).
- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط٣ (بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٨م).
- موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، رحاب خضر عكاوي، ط١ (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م).

- ندوة الدوحة «اللغة العربية في بيئات ومجالات مختلفة» في ١٤٣٧/٣/٢٦هـ.
- وظيفة الألسن وديناميتها، مارتينيه، ترجمة نادر سراج، ط١ (بيروت: دار المنتخب، ١٤١٦هـ).


## المواقع والمدونات:


- http://mawdoo3.com
- http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=12196
- https://arabic.rt.com/news/786982
- https://www.dohadictionary.org/AR/News_Events/Events/Pages/52-InternationalArabicLanguageDaysymposium.aspx
- https://yallafeed.com
- www.alukah.net/literature_language

# تدريس العلوم التطبيقية باللغة العربية (الطب نموذجاً)

أ.بدر بن محمد عيد الحسين

ماجستير في اللغة الإنجليزية

كاتب وباحث في مجالي التربية وأدب الطفل

## مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمين محمد بن عبد الله – وعلى آله وصحبه أجمعين، خيرِ من نطق بالضاد، وأفصحِ من تكلَّم بها وأجاد، أُوتيَ من الكلام جوامعَه، ومن البيان محاسنَه، فتشنَّفت الآذان لفصاحته، وأسفرتِ القلوبُ لإبانته وبلاغته، بثَّ في العربية عبيرَ القيم، ونورَ الحكم، وبلاغة الإيجاز، ورونق المجاز؛ فسمت حُسناً ونبلاً، وتألَّقت نضارةً وجمالاً، واكتست أصالةً وبهاءً.

العربية أشرفُ اللُّغات، و«خيرُ الألسنة»[١]، وأحلاها وأجلاها على مر العصور والأزمنة، أنطقَ الله بها خيارَ الأمم، وأعلى بها شأنهم، ورفع مكانتهم؛ لأنها لغةُ قرآنهم الذي يمثِّل شريعةَ الله في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾[٢]، وهي لغةُ نبيهم الذي هو خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾[٣].

(١) فقه اللغة، أبو منصور الثعالبي، ص٩.

(٢) سورة يوسف، الآية ٢.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٤.

وَسِعَت العربيةُ معانيَ فلسفة الإغريق، ومعارفَ الرومان، وعلوم الزخرفة عند الفرس، وأضافت إلى ذلك ما أبدعته أفهامُ أبنائها النُّجباء حتى غدت مكتباتُهم تزخرُ بالمجلدات في جميع صنوف العلوم ومختلِف الفنون. وظلَّت العربيةُ رائدةَ التقدم العلمي في العالم بأسره لقرونٍ عديدة؛ فهي لغة العلم والحضارة، ومنهل المعرفة الأعذب، والأوفى، والأوثق؛ حيث قدَّم العلماء المسلمون للبشرية مراجعَ نفيسةً في شتى صنوف المعرفة. «وكان كتاب القانون لابن سينا من أهم المراجع التي رجع إليه أطباء الغرب في القرن الحادي عشر الميلادي وما بعده، وأخذ الأوروبيون عن العرب علم الجبر باسمه ورسمه، كما أخذوا عن الخوارزمي الجداول الرياضية وسموها (الجورزم)، ولم تكن هذه العلومُ وتلك الفلسفاتُ مدوَّنَةً بلغة أجنبية ولا بحروف إغريقية أو لاتينية، وإنما كانت مدونةً بلغة عربية وبحروف عربية لم تتجاوز الثمانية والعشرين حرفاً المعروفة لدينا الآن»[(١)]. ولأهمية كتاب القانون في الطب فإن «علماء الفرنج يسمونه (Canonmedicina)، وبقي هذا الكتاب معوَّلاً عليه في علم الطب وعمله ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم، وطبعوه بالعربية في روما سنة (١٤٧٦)م في أربعة مجلدات، بعد اختراع آلة الطباعة بنحو ثلاثين عاماً، وهم يسمون ابنَ سينا (Avicenne)، وله عندهم مكانة رفيعة»[(٢)].

وإنَّ لغةً تحملُ كل مقوِّمات الديمومة والتجدُّد، وتتَّسع لجميع القيم النبيلة قمين بها أن تتسع لإبداعات الأمم المتقدمة في مجالات الطب والهندسة والفلَك والتِّقانة الرَّقميَّة وغير ذلك من العلوم والفنون. ورحم الله الشاعر حافظ إبراهيم عندما قال متحدثاً بلسان العربية:

| | |
|---|---|
| وسعتُ كتـابَ الله لفظاً وغايةً | ومـا ضقتُ عن آيٍ بـه وعظات |
| فكيفَ أضيق اليـوم عـن وصف آلـةٍ | وتنسـيق أسـماء لمُخـترعـات؟! |
| أنـا البحـر في أحشائه الـدُّرُّ كـامنٌ | فهل ساءلـوا الغـوَّاص عن صدفـاتي؟ |

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حامد عبدالقادر، العدد (١٢)، ص٧٤.

(٢) القانون، ابن سينا، ٧/١.

وعلى الرَّغم من كل العوادي التي ألـمَّت بأمَّة الضَّاد فإنَّ جذور العربية الضَّاربة في أعماق نفوسهم، السَّاكنة في نبض قلوبهم، لاتزال صَلبةً قويةً تنبضُ بالحياة، وتمتصُّ رحيقَ المحبة والعزة؛ لتبقى نَضِرَةً جميلةً تحكي الأمل والعطاء، وتمنحها الدَّيمومة بإذن الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١)، وإنَّما نزل الذِّكرُ بالعربية، وبقاءُ العربية مقترنٌ ببقاء القرآن الكريم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإنني في هذا البحث لمجيبٌ ـ بعون الله ـ عن سبعة أسئلة، لا تهمُّ فئة من الناس دون غيرهم، ولكنها تهمُّ الأمة جمعاء، في حاضرها ومستقبلها:

أولاًـ هل يمكن تدريس العلوم التطبيقية باللغة العربية؟.

ثانياًـ هل يمكن أن تُدرَّس العلومُ بغير اللغة الأم التي أبدعتها من خلال الترجمة والتعريب؟.

ثالثاًـ هل يستطيع الطبيب الذي درس بالعربية مجاراة الطبيب الذي درس الطب بالإنجليزية أو الفرنسية من حيث الكفاءة العلمية والممارسة العملية؟.

رابعاًـ هل ترجمة العلوم الطبية وتعريبها ممكنان في هذه الظروف التي تمر بها الأمة؟.

خامساًـ أَمِنَ الممكن تعريب الحوسبة وتطويعها؟.

سادساًـ ما العوامل التي تساعد على تعريب العلوم التطبيقية، والطبية بصفة خاصة؟.

سابعاًـ ما مزايا تدريس العلوم الطبية باللغة العربية؟

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

**أولاً ـ أهمية اللغة:**

اللُّغةُ أداةٌ للتعبير عن الذَّات والمشاعر، ومفتاحٌ للتعلم والتفكُّر، ووسيلةٌ للتَّواصل مع الآخرين. «واللغة كلام البشر المنطوق أو المكتوب، وهي نظام الاتصال الأكثر شيوعاً بين البشر؛ لأنها تتيح للناس التحدثَ بعضهم مع بعض، والتعبيرَ نُطقا أو كتابة عن أفكارهم وآرائهم»[1].

يحقِّق الإنسانُ عن طريق اللغة ذاتَه، ويبثُّ أشجانَه وسرورَه وكل ما يزدحم من تصوُّرات في طيَّات نفسه، ويعبِّر من خلالها عن فهمه لمجريات الحياة، ومستجدات الأمور، ثم يطلق العَنان لأفكاره فيتبصَّر القادم، ويستشعر ما قد تتمخَّض عنه الحوادثُ في العوالم. واللغة خيرُ وسيلة يعبِّر بها الإنسانُ عن خطَرات نفسه، وإشراقات روحه، وعن طريقها يبرزُ مهاراتِه وقُدراته وأفهامه، قيل: إنَّ شخصاً حسَن الهيئة دخل مجلسَ أفلاطون، فقال له: تكلَّم حتى أراك. وقالت العربُ قديماً: المرء مخبوءٌ تحت لسانه، وقال الشاعر:

لسان الفتى نِصفٌ ونصف فـــؤادُه ... ولم يبق إلا صـــورةُ اللحم والــدم

واللغة مرآة الشخصية، وصدى أفكارها، وعنوانُ قيمها، وبالتالي فهي تمثِّل جُزءاً كبيراً من شخصية الإنسان، بل هي شخصية الإنسان وهويته. نعم، اللغة هويَّة الإنسان حقًّا؛ لأنَّ الإنسان الذي لا يتدثَّر بلغته، ولا يفكر بها، ولا يتعلم بها، ولا يحب ويتألم بها، أشبه بذلك العصفور الذي أراد أن يقلِّد صوت البلبل فنسي صوته الأصليَّ، ولم ينجح في تقليد صوت البلبل.

واللغة هُويَّة الأمّة من حيث إنَّها الإطار الذي يتمُّ التعبير من خلاله عن معتقدات الأمة، وإرثها الحضاري، وقيمها، وتقاليدها، وهي ذاكرة الأمّة التي تختزن فيها معارفها وتجاربها، والسِّفْر الذي يدوِّن مآثرها. واللغة وعاء المعرفة؛ إذ إنها تتَّسع لكل صنوفها، ولا تضيق ذرعاً بأيِّ صنف منها مهما دقَّ، واللغة منطلق التفكير، وهي التفكير كله، إذ «إنَّ تعلُّم اللغة يتضمَّن التَّفكير بها، والممارسة الواعية للغة

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، ١٢٢/٢١.

هي تلك التي تتمّ في إطار من المعنى وليس في مجرد التدريب الآلي عليها»[١]، «واللغة أمُّ التَّفكير، وما كان للمعرفة أن تأتي إلى حيز الوجود بدون اللغة»[٢]. وفي ذات السياق فقد «أجمع علماءُ علم النفس اللغوي وعلم اللغة العام وفلاسفة اللغة ومناطق التحليل اللغوي وسواهم على العلاقة بين التفكير واللغة، فبعضهم يرى أنَّ التَّفكيرَ واللغةَ وجهان لعملة واحدة، وبعضهم يرى أنَّ التَّفكير يصوغ اللغة ويؤثِّر فيها. ومنهم من يرى أنَّ اللغة هي التي تصوغ التَّفكير وتؤثِّر فيه؛ فهل يمكن لأمّة أن تنمِّي تفكيرها العلمي الأصيل وتوسعه وتجعله قادراً على الابتكار دون لغتها؟»[٣].

واللغة كنز ثمين، لم لا؟ وهي قافية الشاعر، وحرف الناثر، وحنكة التاجر. هي خواطر المحبين، وخيال الحالمين، وظَرْف الأديب، ومهابة الطبيب. من امتلك قيادها وصل وملَك، ومن زهد فيها وجفاها اضمحلَّ وهلك. «واللغة تبرز خصائص المجتمع معبرة بالرمز عن الإنسان ودائرته الاجتماعية والفكرية والوجدانية؛ ولذا فإنه من المستحيل أن نشخِّص مجتمعاً من المجتمعات إلا عن طريق اللغة التي لا تمسك عن توحيد مشاعر الأمة النَّاطقة بها قبل أن تجعل من المجتمع بنية واحدة، تخضع لقوانين مشتركة؛ لأنها الرابطة الحقيقية الوحيدة بين عالم الأجسام وعالم الأذهان»[٤].

وتميَّزت اللغة العربية عن غيرها بمنزلتها الدينية، وقداستها، ولا بد من القول: إنَّ اللغة هي الأساس القويم لانطلاقة كل أمّة، والمرجعيّة الرَّئيسة في بناء حضارتها، وتشييد صروح معارفها لتحقق مقاصدها، وتقطف ثمار سؤددها. فالحمد للّه على نعمة اللغة التي كسا اللّه بها الإنسان ثوباً قشيباً، ومنحه حُسناً مَهيباً، فكانت بمنزلة النَّبض من القلب، ومنزلة البسمة من الشِّفاه، ومنزلة الكحل من أحداق الحِسان، ومنزلة الشَّمس من سائر الكواكب.

---

(١) تدريس فنون اللغة العربية، علي أحمد مدكور، ص٧١.

(٢) اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ص١١.

(٣) متى يتكلم العلم العربية؟ (الطب نموذجا)، محاضرة ألقيت بمركز الملك فيصل، الموسم الثقافي، ١٦/١٠/١٤٢٧هـ، منشورة في شبكة الألوكة ، الرابط: http://www.alukah.net/literature_language/0/115

(٤) معجم عجائب اللغة، ص١٠.

**ثانياً ـ مكانة اللغة العربية:**

اكتسبت اللغة العربية مكانتها من القرآن الكريم الذي إنما نزل بها، ومن الصلوات التي تؤدَّى بها؛ فهي اللغة التي تشرَّفت باختيار الله لها لتكون لسان شريعته السمحة للناس كافة، «فإنَّ من أحبَّ الله أحبَّ رسولَه المصطفى ﷺ، ومن أحبَّ النبيَّ العربي أحبَّ العربَ، ومن أحبَّ العربَ أحبَّ اللغةَ العربية التي بها نزل أفضلُ الكتب على العرب والعجم، ومن أحبَّ العربية عُني بها، وثابر عليها، وصرف همَّتَه إليها»[١].

وقال ابن تيمية: «اعلم أنَّ اعتياد اللغة العربية يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيِّناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة، من الصحابة والتابعين، ومشابهتُهم تزيد العقل والدين والخُلق، واللغة العربية أيضاً من الدِّين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإنَّ فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهَم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإنَّ اللسانَ العربي شعارُ الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون»[٢].

وأية مكانة أرفع من أن تكون اللغة العربية محفوظة من لدن خالق الكون، باقية ما كرَّ الجديدان، حديثة على الألسنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، «تحوَّلت اللغة العربية إلى لغة حضارية، ولم تبق لغة قومية؛ مذ اختارها الله عز وجل وعاءً لكلامه، وأداةً لتبليغ رسالته إلى الخلق؛ بهذا الاختيار صارت العربية تتبع الإسلام في الانتشار...»[٣].

وإن بعض المنصفين من المستشرقين أقرُّوا بعالمية العربية ومكانتها العالية، يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: «وباستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم التي تحمل سمو الفكر وأمارات الفتوَّة والمروءة

---

(١) فقه اللغة، ص٩.

(٢) اقتضاء الصراط، ابن تيمية، ١/٢٠٧.

(٣) لسان حضارة القرآن، ص٥١، وينظر: نظرات لغوية في القرآن الكريم، ص١٨-١٩ نقلاً عن بحث (حفظ العربية من حفظ الدين)، ص١٣.

ما لا مثيل له»[١]، فالعربية هي ذاك الينبوع الثرُّ الذي يتفجر بالماء الفرات، وتلك الخميلة الغناء التي تحكي جميع صور الحسن الآسر «إن العربية الفصيحة، لغة القرآن الكريم، تكوِّنُ جوهرَ وجود أمتنا العربية، وإنَّها هي وحدَها التي حفظت بقاءَ أمتنا ووحدة انتمائها على مر العصور، وأن لا سبيل لنهضة هذه الأمة ووحدتها إلا من خلال لغتها»[٢].

ومن الخصائص التي استدعاها ذاك الارتباطُ بين العربية والنصوص المقدسة هي أنَّ «اللغة العربية في منزلة متقدمة بين اللغات اليوم، فهي بلا شك من اللغات العالمية المعدودة، والعناصر التي جعلتها عالميةً راجعة إلى ذلك الارتباط بالنصوص المقدسة العظيمة (القرآن الكريم)، ومن ثمَّ فعالميتها لا ترتبط بماديَّات قابلة للزَّوال والتَّحوُّل، ولكنَّها عالمية خالدة بقاء تلك النصوص المقدسة، وهذا هو الأمر الذي حفظ للعربية مكانتها بين اللغات»[٣]. فاللغة العربية إضافة إلى كونها معبرة عن الشخصية فهي ذات قداسة دينية لارتباطها بالقرآن الكريم، ومن حقّ العربية علينا، نحن النَّاطقين بها، أن نُجريَها على ألسنتنا، ونسكنها في قلوبنا، ونتعهَّد رياضها بالعناية؛ لتظلَّ نضرة ظليلة، ذات مكانة شريفة بين الرياض الأخرى.

**ثالثاً ـ خصائص اللغة العربية ومزاياها:**

لن أذهب بعيداً عن محور بحثي الرَّئيس، ألا وهو (تدريس العلوم التطبيقية باللغة العربية، الطب نموذجاً)؛ إذ إنني أرمي من ذكر خصائص العربية ومزاياها هنا إلى بناء أرضيَّة، وصناعة عتَبة أعبر منها إلى فِناء بحثي متزوداً بقدر كبير من البراهين والدلائل، ومتسلِّحا بذخائر فاعلة وقوية.

لقد خصَّ الله العربية بمزايا عديدة جعلتها تتفرَّد بها وتتألق بين سائر اللغات،

---

(١) مقام الثقافة العربية بالنسبة إلى المدنية العالمية (مقال)، للمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، صحيفة الأهرام، القاهرة، عدد ١٩٤٩/١/٢٦م، نقلاً عن (مجلة البيان)، العدد ٣٤٣، ربيع الأول، ١٤٣٧هـ.

(٢) اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ص٥.

(٣) خصائص اللغة العربية وأثرها في التعليم، ص١٢٠-١٢١.

من حيث قدرتُها على السَّعة والاستيعاب؛ فالعرب القدماءُ لم تُعْيِهِمُ اللغةُ في ترجمة كتب أرسطو وأفلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان وعلمائهم. ومن خصائص العربية الإعرابُ الذي أكسبها عمقاً دلالياً ثرياً؛ فالكلمة ذاتها تؤدِّي معنى جديداً لتغيُّر حركة الإعراب عليها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[1]، والمقصود من الإتيان بهذه الآية واضح.

والعربية غنيةٌ بالألفاظ والمفردات، وهذا الغِنى أعطاها فضاءاتٍ فسيحةً تمكِّنها من التَّحرُّك بحرية وثقة كبيرتين في فلك المعاني الرَّحب، «وهي كما تنص إحدى الرِّوايات، تحتوي على ثمانين ألف مادة، والعلماء يقولون: المستعمل منها عشرة آلاف»[2].

وإن غنى العربية بالألفاظ والمفردات منحها مرونة في التَّسمية؛ إذ نجد أن لكل من: الجمل والأسد والحرب والصحراء والمرأة عشرات بل مئات الأسماء. والأبرز من ذلك أن تتعدد الأسماء للثَّمرة، على سبيل المثال، بما يتناسب مع التَّغيُّرات التي تطرأ عليها بسبب النمو؛ كما في حمل النَّخلة يُقال: «أطلعت، ثم أبلحت، ثم أبسرت، ثم أزهت، ثم أمْعَت، ثم أرطبت، ثم أتمرت»[3]. وفي فصل تقسيم الجدَّة والطراوة على ما يوصَفُ بهما، كما ذكر الثعالبي نلحظُ الدقَّة والبراعة كما يأتي:» فيقالُ للثوب: جديدٌ، وللحم طريٌّ، وللشراب حديثٌ، وللبُرد قشيب، وللدينار هبرزي، وللحُلَّة شوكاء»[4].

ومن مزايا العربية أيضاً تنوع الأساليب؛ كالحذف والقصر والإيجاز والإطناب مما هو مذكور في كتب البلاغة، إضافة إلى القلب والإبدال والقياس وغير ذلك.

---

(١) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٢) اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ص٢٢٢.

(٣) فقه اللغة، ص٣٢٢.

(٤) المصدر السابق، ص٦٥.

ومن مزايا العربية تصاقُب الألفاظ لتصاقب المعاني، بمعنى أنَّ جميع الكلمات التي تنحدرُ من جذر واحد متقاربةٌ في المعنى كما في: (جنَّ، والجنَّة، والجنُّ، والجنون، والجَنان) تشترك جميعها في معنى الخفاء، وكذلك الكلمات: (إنْس، أنِس، مُؤانسة، الإنسانيَّة، الإنسان، استأن، المؤانسة، الاستئناس) تشترك جميعها في معنى الأُنس والملاطفة.

وتمتاز العربية بدقة الألفاظ، وقد ذهب بعض أهل اللغة إلى أن العربية لا ترادُف فيها؛ بمعنى أنَّ لكل كلمة معنًى تدلُّ عليه فالفعل (قام) يختلفُ معناه الدقيق عن (نهض)، «والفعل (طرق) يختلف عن (قرع)، وكذلك فإنَّ (الظل) يكون غداة وعشيةً، وأمَّا (الفيء) فلا يكون إلا بعد الزوال»[١]، والفقير يختلف عن المسكين كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[٢]، وعند ابن قتيبة في أدب الكاتب «فالفقير الذي له البُلغة من العيش، والمسكين الذي لا شيء له»[٣].

والأبعد من ذلك أن نجد في العربية كلمات تعبر عن معنيين متضادين مثل: (الصَّريم) تعني الليل، والصبح في آن معاً، وظرف الزمان (وراء) تكون قُدَّامًا وتكون خلفًا[٤]، قال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾[٥].

ومن مزايا العربية الاشتقاق «وقانون الاشتقاق في العربية أمر يلفت الانتباه؛ فمفرداتها المعجمية التي تجاوزت اثني عشر مليوناً تعودُ في أكبر المعجمات إلى مائة

---

(١) أدب الكاتب، ابن قتيبة، ص٢٦-٢٧

(٢) سورة التوبة، الآية ٦٠.

(٣) أدب الكاتب، ص٣٤.

(٤) المصدر السابق، ص٢٠٩-٢١١.

(٥) سورة الكهف، الآية ٧٩.

وعشرين ألف مادة، وانضواء المشتقات الكثيرة تحت الجذور في العربية يدل على اتساع دائرة الاشتقاق»[١]، وهذا يعني إمكانية أن يُشتقَّ من الجذور مشتقات كثيرة، فلو أخذنا من العربية كلمة (سماء)، على سبيل المثال، لأمكننا اشتقاقُ كلمات عديدة منها، مثل: (سما، يسمو، سمَوا، تسامى، سام، سماوات...إلخ)، ولو أخذنا في المقابل كلمة (Sky) من الإنجليزية بمعنى: سماء، نجد أنها جامدة وعصية على أي اشتقاق. ولو قارنَّا بين معاني كلمة (ground) في الإنجليزية بمعنى (أرض، أساس، قاعدة) وبين كلمة (أرض) بالعربية من حيث عدد المشتقات؛ لوجدنا أنه يمكننا أن نشتق من كلمة (أرض) عشرات الكلمات، مثل: «أرَّضَ، التأريض، التأرُّض، أرضون، استأرض، أراضين، أراضي، الأرَضُّ، مأروض، أراضة»[٢].

ومن خصائص العربية تميُّزها بنظام صوتي وكتابي منضبط إذا ما قورن بلغات أخرى، حيث يتوافق المنطوق مع المكتوب بصورة عامة، فتسمعُ كلمات (كتَب، مسافرون، باسق) على سبيل المثال، وتكتبها كما تسمعها، أما في الإنجليزية فهناك عدم انضباط بين المسموع والمكتوب، كما في كلمات: (Right, high, night)، فقد كُتب في كل منها حرفان لم يُنطَقا وهما: (gh).

فاللغة العربية ذات رحم خِصب ولود، وذات قوام غض ينضح بالرِّي والحسن. ومن أمثلة غنى اللفظ بالمعاني والدلالات، كلمة «قَدَمَ قُدُمًا بمعنى تقدَّم، وقدَّم بمعنى أعطى، وقَدُم الشي قدَمًا أي مضى على وجوده زمن طويل، والقَدَمُ ما يطأ الأرض من رِجْل الإنسان»[٣]. يقول العالم الألماني فرينباغ: «ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يمكن حصرُهم، وإنَّ اختلافَهم عنَّا في الزَّمان والسَّجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألَّفوه حجاباً لا نتبيَّن ما وراءه إلا بصعوبة»[٤].

---

(١) خصائص اللغة العربية وأثرها في التعليم، ص١١٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ١/٨٨-٨٩.

(٣) المعجم الوسيط، ص٧١٩-٧٢٠.

(٤) نقلاً عن التمكين للغة العربية آفاق وحلول، محمود السيد، مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢/٣٠٩.

وكسائر اللغات الأخرى فإن العربية قابلةٌ للنَّحت «ويُعتبر الخليل بن أحمد أولَ من اكتشفَ ظاهرةَ النَّحت في العربية، فهناك كلمات تُنحَت من كلمتين، مثل: (حيعل). وكلمات تُنحَت من جُمل، مثل: (حوقل، وبسمل، وسبحل).

ومن مميزات اللغة العربية قِدمها «فهي تكاد تكون أقدم لغة حية مستعملة اليوم؛ لأن نصوصَها المكتوبة تعود إلى أكثر من خمسة عشر قرناً خلت، بينما لا يزيد عمر الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية على سبعة أو ثمانية قرون، وفوق ذلك كله فإن أنظمة هذه اللغات الصوتية والصرفية والنحوية لم تتكون إلا بين القرنين الثالث عشر والرابع الميلاديين»[١].

ولعل من نافلة القول أن أذكر: «أنَّ عددَ الذين يتكلمون العربية أكثر من (١٦٠) مليون نسمة، ويتقبَّلها أكثر من (٦٠٠) مليون مسلم، وهي سادس لغة رسمية لمنظمة الأمم المتحدة»[٢].

**رابعاً ـ قدرة اللغة العربية على مواكبة العصر:**

أثبتت العربية عالميَّتها، وقدرتها على إنتاج حضارة إنسانية رائدة من خلال ما قدَّمته للعالم من معارفَ واكتشافات إبَّان العصر الذهبي للعرب والمسلمين، ومن خلال الفتوحات التي شهدت إقبالَ سكان البلاد المفتوحة على العربية، والتفاعل معها من غير عناء أو مشقَّة.

وما من شك في أنَّ العربية تواكبُ مستجدات العصور، فهي مرنةٌ مطواع تنبضُ بالحياة والتجدُّد، وقادرةٌ على استيعاب حصيلة المعرفة الإنسانية، ومجاراة كل تطور، واشتقاق مسميات لكل ما ترفدنا به الحضارة الغربية وغيرها من الحضارات في المجال الصناعي، والطبي وغيرهما، مما يؤهِّلها لتدخل في معترك العلوم التطبيقية بجدارة؛ فكلَّما قدَّمت التِّقانة آلةً سارعت العربية لإيجاد اسم لها،

(١) اللغة العربية هويتنا، مجلة الفيصل، العدد ٢١٨، ص٢٠-٢٥.

(٢) قدرة اللغة العربية على مسايرة الإبداع والتجديدات في مجال العلوم الطبية والطبيعية، د.حمزة الكتاني، المكتبة الشاملة.

فلدينا: (حاسوب computer) و(ناسوخ fax)، و(هاتف telephone)، و(سيارة taxi)، و(مِجْهَر microscope).

وقد واكبت العربية في الماضي، ما خلَّفه الإغريقُ واليونان والفرس من إرث معرفي، وأوسعته دراسةً وبحثاً وطوَّعته ليصبح سهل المنال، متيسراً للحاضر والباد، وتجلَّى ذلك في العلوم الطبية. «وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الأطباء العرب اعتمدوا على مصادر الطِّب اليوناني، لكن هذا الاعتماد لم يجعلهم يقفون عند معطيات المصادر اليونانية، بل تجاوزوا هذه المصادر خطوات وقفزات هائلة، ظهرت من خلال مؤلفات وأعمال رائعة، تفوَّقت على الكتب اليونانية في عدد من المسائل الطبية»[1].

ومما يدلل على قدرة العربية على مواكبة العصر وجودُ مجامع اللغة العربية التي دأبت على تعريب الكلمات التي كثُر استعمالها وشاع بما يتفق مع روح العربية، وفيما يأتي بعض الكلمات الأجنبية التي شاع استخدامها، وعُرِّبت في الماضي والحاضر، مثل: فِلم، وتلفاز، ونموذج، ورطل، وسندس، وإستبرق، والديوان، والقنطار، والشطرنج. وإنَّ «قبول المصطلح الأجنبي في العربية مرهون بصياغته وفق المقاييس والأوزان الصرفية العربية بحيث يصبح قابلاً للتعريف والاشتقاق بمختلف أنواعه والنَّسبة والتَّصغير... ككلمة درْهم التي استُعمل منها: دَرْهَمَه ومُدَرْهَم ودرْهَمِيّ ودُرَيْهِم، ومن ذلك ـ أيضاً ـ فِهْرِس وفَهْرسة وفهارس ومفهرسة، وتِلْفاز وتَلْفَز،... ودوَّن، يدوِّن، تدوينًا... فكل هذه المصطلحات دخلت في صميم العربية، واشتقت منها كلمات أنْسَتِ الناسَ أصلها الأول»[2].

ويتحدث المستشرق الأمريكي وليم ورل عن مرونة العربية وحيويتها فيقول: «إنَّ اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكِّنانها من التَّكيُّف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكَّت بها، وهي ستحافظ

(١) ملامح من حضارة العرب في مجال العلوم الصحية، يعرب نبهان، مجلة تعريب، العدد ٤٩، ص٢٧٣.

(٢) مقالة للدكتور حسان الطيان، الألوكة: literature_language/0/1913/www.alukah.net/#ixzz3vDgF9sDN

على كِيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي»[١]. ولعل من الطارف والتليد القول: إن العربية التي تعرف «للناقة (٢٥٥) اسماً، وللأسد (٣٥٠) اسماً، وللماء (١٧٠) اسماً، وللظَّلام (٢٥) اسماً... ناهيك عن ترادف الصِّفات، فتعرف العربية للطويل (٩١) لفظاً، وللقصير (١٦٠) لفظاً، ونحو ذلك للشجاع والكريم»[٢]؛ لقادرة على مواكبة النَّهضة المعرفيَّة التي ارتقت بالعلوم التجريبية.

ومن دلائل قدرة العربية على المواكبة، وإثبات تفوقها وعالميتها وأصالتها، ما نجده في أشهر معاجم اللغة الإنجليزية الطِّبيَّة واللُّغويَّة؛ حيث نجد مئات المصطلحات العربية التي أصبحت جزءاً من المنظومة الثَّقافيَّة الغربية، ومن هذه المصطلحات ما نجده في معجم قاموس ستيدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionary) ففيه: (الكحل Alcohol)[٣]، وفي قاموس المصطلحات الطبية (Med-Term) نجد مصطلحات عديدة مثل: الأنبيق (Alembic)، وهو جهاز يستخدم للتقطير، ونجد (الأنيلين)، ويعني صبغ النيل (Aniline)[٤]. كما أورد الدكتور أحمد رفعت الكشميري في كتابه (الجذور العربية في المصطلحات الطبية) عدداً كبيراً من الجذور مثل: (الصافن، Safen) وهو وريد ضخم في باطن الساق، و(الطَّلق قبل الولادة)[٥] Talc، وقدم الدكتور محمد عبدالعزيز أستاذ طب العيون في جامعة الأزهر بحثاً يحتوي على المصطلحات العربية في طب العيون، والتي استخدمها الغرب في معاجمهم ودراستهم الأكاديمية، مثل:»(Sick، أصلها سقَم)، و(Eye، أصلها: عين)، و(Management، أصلها: مناجزة)، و(Cronic، قروني)، وهناك كلمة: ( Fassicular، فسيلة)، و(Symptoms تعني سمات)،

---

(١) التمكين للغة العربية، آفاق وحلول، محمود السيد، مجمع اللغة العربية بدمشق، ج٢، مجلد ٨٣، ربيع الأول، سنة ١٤٢٩هـ، ص ٣٠٩.

(٢) اللغة العربية كائن حي، ص٣٣.

(٣) Stedman's Medical Dictionary, 23rd edition, the William's & Wilkin's Company. USA.

(٤) WWW.MedTerm.com

(٥) الجذور العربية في المصطلحات الطبية، ص٢٧-٢٨.

و(Macula تعني ماقولة)»[1].

وفي ختام هذا المبحث يحق للقارئ أن يتساءل: مادامت العربية قادرةً على مواكبة العصور بما تتميز به من قدرات وخصائص في شتى مجالات الحياة، فلماذا لا نمنحها الفرصة لتخوض غمار العلوم التطبيقية؟.

**خامساً ـ تدريس العلوم التطبيقية باللغة العربية:**

قبل أن أغوص في هذا المبحث لا بد من القول والاعتراف: إن اللغة الإنجليزية تتربع على عرش الريادة في العصر الحالي، وهي لغة العلم والتقنية الرقمية والاختراعات النفيسة التي جلبت للعالم الرفاهية، وذلَّلت العقبات، وحطَّمت الحواجز، ومزَّقت ستائر العُزلة، فأصبح العالم على يديها أشبه بقرية صغيرة. كما أنَّ اللغة الإنجليزية لاقت كل عناية وحفاوة من أبنائها البررة الذين أوسعوها تطويراً وتجديداً وبحثاً، ومسحوا الغبار عن جبينها، وكحَّلوا عينيها، ومشطوا ضفائرها، حتى بدت كالغادة الحسناء في ليلة زفافها متألقة نضِرة.

وإنَّ اللغة العربية ـ على الرغم من كل ما تلقاه من جفاء وإهمال من بعض أبنائها العقَقَة ـ لا تزال محافظة على بهائها وعالميتها، ولو أنها لقيت معشار ما لقيته الإنجليزية أو الفرنسية من اهتمام، لطاولت عنان السماء، وحطَّت حروفها الغراء على الجوزاء، إلا أنه تفشَّى في بلادنا العربية داءُ التبعيَّة للغات الغربية، وأخص بالذِّكر الإنجليزية منها، وأصبح القائمون على أمر التعليم على قناعة مفادُها: أن العلوم التطبيقية (كالفيزياء والكيمياء والهندسة بصفة عامة، والطب بصفة خاصة) لا يمكن تدريسها باللغة العربية؛ ولابد من دراستها باللغة نفسها التي أنتجت هذه العلوم؛ أي من المصدر.

وإنَّ وهَن العزائم، وتراخي الشكائم، وفتور الهمم أدى إلى هزيمة نفسية، وعدم ثقة بالنفس عند المثقفين العرب، والأدهى من ذلك أنَّ النُّخب العربية المبدعة

(١) الأصل العربي لمفردات طب العيون، نقلاً عن كتاب (الجذور العربية في المصطلحات الطبية)، ص٣٥-٣٦.

المتخصِّصة في العلوم التجريبيَّة تؤلِّف الكتب النفيسة، التي يُدرَّس بعضها في أعرق الجامعات الأوروبية والأمريكية، وتعدُّ البحوثَ النافعة، وتشارك في الندوات العالمية، والمحافل الدولية؛ كل ذلك باللغة الإنجليزية، مقدمة إبداعاتها الفكرية ونتائج تجاربها وبحوثها أرصدةً جديدة للإنجليزية وأهلها على طبق من ذهب.

ومما يؤكد تبعيةَ عدد ليس بقليل، من مثقفي العرب ودهمائهم، للغة الإنجليزية زجُّ عبارات ومصطلحات إنجليزية في أثناء حديثهم مع بني جلدتهم ولسانهم؛ ليعبروا عن عمق ثقافتهم، وسعة اطلاعهم، متجاهلين أنَّهم بذلك يبرهنون على تبعيتهم للإنجليزية، ويطعنون لغتهم في الظهر، ويناصبونها العقوق والجفاء. «إن استعمال اللغات الأجنبية لا يساعد على خدمة مصالحنا، وإنما يساعد الدول الأجنبية على بقائنا حيث نحن في حالة من التبعية العلمية والفكرية للعالم الغربي»[١].

وأؤكد ثانية على أهمية تعلُّم اللغة الإنجليزية أو الفرنسية مادتين مستقلتين، والإفادة من المخزون المعرفي الذي رفدتا به بحر المعرفة في العصر الحاضر في جميع المجالات، إلا أنَّ الأمر يكون في ذلك متوازناً، ولا يكون على حساب اللغة الأم وفي مراحل التعليم المبكر. بالإضافة إلى أنَّ تعلُّم اللغات الأخرى نهج حضاري علمي، يفضي إلى تبادل المعارف والتكامل في تحقيق الازدهار العالمي. كما أنَّ التَّعريب نهج حضاري أيضاً اتبعه العرب منذ القديم، وخاصة في مجال العلوم الطبية، ومن ثَمَّ «يجب أن نؤكد على أنَّ تعريب الطب لا يعفي الطبيب من أن يتقن لغة أجنبية واحدة على الأقل، حتى يتمكَّن من متابعة ما يحدث في عالم الطب من تقدم»[٢].

ولكي أثبت قدرة العربية على تدريس الطِّب بصفة خاصة أبدأ بالتَّأكيد على أنَّ تعلُّم الطِّب ليس مقترناً بلغة ما، وأنَّ المصطلحات الطِّبيَّة الشائعة اليوم لاتينيةُ الأصل وليست إنجليزية محضةً، أو فرنسية صرفاً، وأنَّ العربية ليست أقلَّ شأناً من الصينية واليابانية والألمانية والإيطالية والروسية والفنلندية والكورية الجنوبية التي

(١) البعد السياسي لقضية اللغة العربية، ص٦٣.

(٢) دفاع عن تعليم الطب باللغة العربية. htm.www.acmls.org/conf/conf14

يدرسُ أبناؤها الطُّلابُ الطِّب بلغتهم الأم، وقد أثبتوا نجاحاً وتفوقاً، ولم نسمع من يقول: إنَّ الطِّب الفرنسي أكثر تطوراً من الطب الألماني أو الروسي. كما أن انتشار اللغة الإنجليزية الواسع وكونها لغة التجارة والتقنية ليس مبرراً كافياً لنخصص لها صدور جامعاتنا ومدارسنا ومنازلنا وندَواتنا على حساب لغتنا الأم وهويتنا.

وإننا إذ ننادي بالتَّعريب فإننا نقصد به «جعل العربية لغة التَّعليم في جميع مستوياته، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة في وطننا العربي، بل يتعداه إلى تأصيل هذه العلوم وتلك المعارف في الفكر العربي... والتَّعريب يعني المشاركة المبدعة للمؤسسات العلمية العربية في بناء الحضارة العالمية، والخروج من حالة التبعية الفكرية والثقافية»[1].

وليس بخاف على أحد نجاحُ لغتنا العربية في العصرين الأموي والعباسي باحتواء علوم اليونان والإغريق والفرس، وأنَّها لم تَضق ذرعاً بتلكم المصطلحات الجديدة وهاتيك المفردات الغريبة، وأسفر عن ذلك نجاح العرب آنذاك بتعريب تلك العلوم بنجاح، يقول الدكتور صبحي الصالح: «أما العلوم الدخيلة فقد اتسعت العربية أيضاً لترجمتها وتعريب مصطلحاتها. وبلغت الترجمة في عصر المأمون أوجها حين عرَّبت ألفاظ الطب والطبيعة والكيمياء والفلك والرياضيات والفلسفة، ولايزال كثير من هذه الألفاظ صالحاً للتعبير عن هذه العلوم إلى يومنا هذا»[2].

وجدير بأمتنا العربية الإفادة من خلاصة تجارب الآخرين، قال غاندي: «علينا أن نفكِّر في الوقت والجهد اللَّذين بذلهما شبابنا في تعلم اللغة الإنجليزية كما لو كانت لغةً أماًّ لنا، وأن نحسب بعملية حسابية بسيطة عدد السنوات ومقدار الجهد الثمين اللذين يضيعان على الأمة»[3]. وكان غاندي يغبطُ اليابان لأنها لم تستعمل لغة أجنبية وسيلة للتعليم. ولا يخفى على أحد النهضة المعرفية التي تشهدها اليابان في جميع المجالات؛ لأنها ترجمت العلوم التطبيقية إلى اليابانية، وأعلَت بذلك شأن

(١) اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ص٦.

(٢) دراسات في فقه اللغة، ص٣٢٠.

(٣) السابق، الصفحة نفسها.

لغتها، وبث في نفوس أبنائها روح الاعتزاز بلغتهم ووطنهم. «إن ترجمة وتعلّم العلوم والتكنولوجيا للغة الأم وبلغة الأم يعمم الفائدة على المجتمع ككل، وعدم نشر لغة العلم والتكنولوجيا في المجتمع يؤدي إلى خسارة المجتمع ككل»[١]. وتدريس العلوم بالعربية وكتابتها بها يساعدان على الإبداع وتفتيق الأفكار مادامت اللغة مرتبطة بالتفكير كما ذكرنا سابقاً.

وها هي ذي تجربة فيتنام تنجح في تعليم الطب باللغة الفيتنامية «حيث اتُّخِذ قرار سياسي بفتنمة الطِّب في بداية العام الدراسي على أن يتم الاختبار باللغة الفيتنامية، ورغم اعتراض الأساتذة والطلبة لجهلهم بلغتهم، والتي كانت قبل الاستقلال لغة بدائية تقريباً، وبقيت مهملةً مدة ثمانين عاماً، حلَّت الفرنسيّة خلالها محلها»[٢]، وفي «خلال عام واحد نجح الفيتناميون في فتنمة الطِّب، واستخدموا قسماً خاصاً للطِّب الشرقي في كلية الطب»[٣].

نخلص من خلال ما ذُكر أن لا مشكلة في اللغة العربية بحد ذاتها، ولا يوجد ما يُعِيق إمكانية تدريس العلوم الطِّبيَّة بالعربية، وأنَّ تعريب العلوم الطِّبيَّة مطلب مهم وحاجة ماسة تعود بالنفع على الأمة أجمع، وهي خطوة لا بدَّ منها، طال الزمان أو قصر، إذا كنَّا نودّ النُّهوض واليقظة من الاستكانة والخنوع لكابوس الغرب ولغته ونهضته التِّقنيَّة. وما من شك في أنَّ هذه الخطوة تكتنفها مصاعب كثيرة وعقبات عديدة، إلا أنَّ إخلاص النَّوايا، وتكاتف الجهود، وحشد الطَّاقات كفيل بتذليل كل الصعاب. وللتَّعريب فوائد عديدة حيث إنَّه «يُغْني اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن ظلال المعاني الإنسانية، كما أنَّه يمدُّنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا نستغني عنها في نهضتنا العلمية»[٤].

يقول الأستاذ أحمد أمين: «أما تعريب العلوم فقد بدأت المحاولات الأولى فيه خلال

(١) اللغة الهوية والتنمية، ص٢٩.

(٢) مجلة العربي، العدد ٣٠٧، الكويت، رمضان ١٤٠٤هـ.

(٣) مجلة الأمة، الدكتورة نحلاوي، ، العدد السابع والأربعون، ربيع الآخر ١٤٠٤هـ، ص٤٩.

(٤) اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ص٢٧٧.

العصر الأموي، وكانت على الأغلب جهوداً فردية وعلى نطاق ضيق، واقتصرت على العلوم العملية كالطِّب والفلك، والعلوم العقليَّة (كالمنطق والفلسفة والهندسة)، كما عُرِّبت بعضُ الألفاظ اليونانية، وأطلقوا عليها كلماتها الأصلية مثل: البرجد (وهو كساء غليظ مخطط)، وأسماء أشياء عرفها العرب بعد اتصالهم بالروم كالزبرجد والزمرد والياقوت، ومقاييس وأوزان رومانية كالقيراط والأوقيَّة، وأسماء طبيَّة أو نباتيَّة كالقولنج والبرقوق»[1]. وأما المصطلحات الدَّوائيَّة والأمراض التي تحمل أسماء أعلام بناءً على من اخترعها أو على المكان الذي تمَّ فيه الاختراع، فليس من الضَّروري تعريب المصطلح الدَّوائي أو اسم المرض نظراً لشيوعه، مثل: (شلل بيل)، و(متلازمة داون)، ونظرية فيثاغورث في الرياضيات (Pythagoras)، وغير ذلك. والأهم، برأيي وحسب ما قرأته لأهل التَّخصّص الطِّبِّي الدَّقيق، هو المادة العلمية والأفكار والمعاني التي تندرج تحت المصطلح الذي هو أشبه بالرَّمز والإيحاء؛ لأنه «ليس من الضَّروري أن يتطابق المصطلح مع المعنى المعجميّ للكلمة، ولا أن يستقصي كلَّ دقائق المفهوم العلميّ، بل يكفي وجود علاقة ما بين المصطلح وبين دلالته»[2]. ولا داعي للصرامة في تعريب المصطلحات.

**سادساً ـ تجارب ناجحة في تدريس الطب بالعربية:**

لم يدَّخر محبو العربية جهداً في إطلاق صرخات الغيرة على العربية، كلَّما سنحت لهم الفُرَص، مطالبين بجعل العربية لغة التَّعلُّم لجميع العلوم، وفي جميع المراحل الدراسية بدءاً من الابتدائية وانتهاءً بالمرحلة الجامعية، وهناك محاولات لم يُكتب لها النجاح؛ لأسباب لا يتَّسع المقام لذكرها، وهناك تجارب كُتب لها النَّجاح لمدة قصيرة من الزَّمن، ثم آلت إلى الإخفاق؛ لأسباب سياسية واستعمارية، وهناك تجارب نجحت وحقَّقت رسالتها السَّامية مثل التَّجربة السورية، وهناك دراسات قام بها باحثون، وتجارب شخصية قام بها أساتذة متخصصون في العلوم الطبية،

---

(١) ضحى الإسلام، ١/٢٨١.

(٢) تعريب المصطلح العلمي: إشكالية المنهج، قاسم السارة، مجلة عالم الفكر، المجلد ١٩، العدد (٤)، ١٩٨٩م، ص٨١، ١٢٨.

وتوصلوا إلى نتائج مشجعة سنأتي على ذكرها.

وسأبدأ بالتَّعريف بتجربة مصر، حيث «بدأت دراسة الطب في مصر بمدرسة الطب في أبي زعبل عام ١٨٢٧م باللغة العربية، ثم انتقلت إلى القصر العيني عام ١٨٣٧م، وأثبتت نجاحاً باهراً، ورغم الاعتراضات المتواصلة على التَّعليم بالعربية، بدعوى عدم كفاءتها في التَّعليم الطِّبي، جيء بالأستاذ الدكتور باريست (Pariset) من باريس، عام ١٩٣٠م؛ للإشراف على امتحانات الطلاب، فكان تقريره عنها مشجعاً، وقرر بأنَّ مستوياتهم التعليمية لا تقلُّ عن المستويات الجيدة المقبولة في فرنسا. واستمرت اللغة العربية لغة العلم حتى وقعت مصرُ في قبضة الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢م، وبعد مضيِّ خمس سنوات من هذا الاحتلال تحوَّل تعليم الطِّب إلى اللغة الإنجليزية.

وفي لبنان، افتتحت في بيروت عام ١٨٦٦م الكليَّة السُّوريَّة الإنجيليَّة (البروتستانتية)، التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية في بيروت، وراحت تعلِّم كلَّ علومها بالعربية (بما فيها علوم الطِّب)، ثم قامت جامعة القدِّيس يوسف في بيروت عام ١٨٨٢م، وعلَّمت بالعربية أيضاً، ولكن لم يدم ذلك طويلاً؛ فقد تحوَّلت لغة التعليم عام ١٨٨٤م إلى الإنكليزية في الكلية الأولى، وإلى الفرنسية في الثانية، بحجة عدم توفُّر الأساتذة المتمكنين من تعليم علوم الطب بالعربية. وعلى الرَّغم من ذلك، فقد وُضع في الكليَّة السُّوريَّة الإنجيليَّة، خلال فترة تعريبها القصيرة نسبياً (١٨ عاما)، اثنا عشر كتاباً، وتُرجمتْ فيها عدة كتب طبية أخرى، استُعْمِل فيها الكثير من مصطلحات الطب العربي الإسلامي[١].

أما التجربة السُّوريَّة، فقد «بدأ التعليم الطبي في سوريا بالعربية عام ١٩١٩م، وأصرَّ الأساتذةُ المؤسِّسون على أن تكون اللغةُ العربية لغةَ التعليم فيها، بالرَّغم من إصرار المحتلِّين الجدد الفرنسيين الذين أرادوا أن تكون الفرنسية لغةَ للتعليم العام والجامعي. ولكن الرُّواد الأوائل علَّموا بالعربية، وبذلوا جهوداً جبارة في

(١) التجربة العربية في تعريب العلوم وعلوم الطب: www.m-a-arabia.com/vb/archive/index.php/t-900.html

تأليف الكتب الطِّبيَّة المناسبة، وفي إيجاد المصطلحات الطبية وتطورها، وأصدروا مجموعات عديدة منها، ثم نظموا بعض المعجمات الطِّبيَّة والعلميَّة، كما أجروا تدريسهم في كل الكليات العلمية والإنسانية الأخرى في كل الجامعات السورية باللغة العربية أيضاً. وتطور مستوى التعليم لدرجة جيدة جداً، حتى وصل إنجاز الأطباء المتخرجين من كلياتهم الطبية درجة تفوق مستوى خريجي بعض الجامعات التي تعلِّمُ طبَّها باللغة الإنجليزية في بعض البلدان العربية الأخرى. ويتمثل ذلك في إنجاز خرَّيجيها في امتحانات الدراسات الطبية العليا، التي تجرى في إنكلترا، أو في الولايات المتحدة؛ ففي امتحانات الـ (ECFMG) التي تُجرى في الولايات المتحدة للأطباء الذين يرغبون في مواصلة دراساتهم أو ممارساتهم الطبية فيها، كانت نتائج خريجي الكليات الطبية السورية أحسن من الخريجين الذين يتلقون تعليمهم بالإنكليزية. ففي عام ١٩٨٣م، بلغت نسبةُ نجاح الأطباء المتخرجين من الكليات السورية (٤٢,٥٪)، بينما بلغت نسبة نجاح الأطباء الدارسين بالإنجليزية في البلدان العربية الأخرى (٣٩,٦٪)، وفي عام ١٩٨٤م كانت نسبة نجاح السوريين (٥٧,٣ ٪) مقارنة بـ(٤٤,٥٪) للدارسين بالإنجليزية. وزاد الفرق أكثر من ذلك في الأعوام الأخيرة. كما أثبتت كل الاختبارات، التي أجريت على طلاب الجامعات السورية الذين يتلقون تدريسهم بالعربية، أنهم يتلقون علومهم بدرجة أعمق وأوسع، وبسهولة كبيرة نسبياً، مقارنة بطلاب جامعات الأقطار العربية الأخرى التي تعلم باللغة الأجنبية. وقد بلغ عدد الأطباء، المتخرجين من جامعة دمشق والعاملين في ألمانيا، حوالي (١٠٠) طبيب عام ١٩٨٠م وهم يمارسون هناك بمستوى علمي رفيع»[١].

ومما يؤكد نجاح التَّجربة السُّوريَّة الدكتور زهير السباعي في كتابه (تجربتي في تعليم الطب بالعربية) بقوله: «في عام ١٩٨٢م شاركتُ في مهرجان العِلم في سوريا، والتقيت بصديقي الأستاذ الدكتور زهير حلّاج (عميد كلية طب تشرين في اللاذقية)، فدعاني لحضور بعض المحاضرات في كلية الطب، واستمعت إلى

(١) التجربة العربية في تعريب العلوم وعلوم الطب.

محاضرات تُلقى باللغة العربية فوجدت الطلبةَ والأساتذة يتحاورون ويتناقشون بطلاقة واضحة وبحيوية بالغة وهي ظاهرة تكاد نفتقدها في كليات الطب التي تدِّرس باللغة الإنجليزية، نفس الملاحظة وجدتها في كلية طب دمشق، حيث وجدتُ المحاضر قادراً على التَّعبير عن نفسه بلغة عربية سليمة، كما وجدتُ الطُّلاب يناقشون ويجادلون بحيوية وانطلاقة؛ مما زاد في إيماني بضرورة تعليم الطِّب باللغة العربية»، ويقول في موضع آخر من الكتاب: «قد يظن بعضهم أنَّ تعليم الطِّب باللغة العربية في سوريا أدى إلى تدني مستواه، وهم لا يقولون هذا عن إسرائيل التي تعلِّم الطِّب باللغة العبرية؛ ولكي نحقق في الأمر بحَثنا نتائجَ الأطباء السُّوريين في امتحان المجلس التعليمي للأطباء الأجانب، وهو امتحان تعقده الولايات المتحدة الأمريكية عدة مرات في كل عام، ويتقدم إليه في كل مرة نحو عشرة آلاف طبيب من مختلف أنحاء العالم، ومَنْ يجتازه يحق له العمل أو الدِّراسة الطِّبية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، واتضح أنَّ الأطباء السوريين لا يقل مستواهم في الامتحان المذكور عن مستوى زملائهم الأطباء في مختلف أنحاء العالم»، ويقول: «وننبِّه القارئ إلى أنَّ امتحان المجلس التَّعليمي للأطباء الأجانب يعقد باللغة الإنجليزية، أي: إنَّ تعلُّم الطِّب باللغة العربية لم يكن عائقاً أمام الأطباء السوريين، يحول دون أدائهم للامتحان واجتيازهم له بنجاح»[١].

وقال الدكتور عبدالوهاب الإدريسي عميد كلية الطب والعلوم الصحية بجامعة أم درمان الإسلامية في السودان: «لقد أثبتت التَّجارب في سورية أنَّ الذين يخرجون للدراسات العليا خارج سوريا يستوعبون دراستهم باللغة الأجنبية بسرعة؛ لأنهم قد استوعبوا العلم الأساسي سلفاً باللغة الأم»[٢].

ومن الدراسات التي يحسن ذكرها في هذا المقام دراسة الدكتور زهير السباعي التي أجراها عن سرعة القراءة ومدى الاستيعاب على عينة من (١٢٤) طالبَ طب

---

(١) تجارب ناجحة في تعليم الطب بالعربية، د. حمد بن محمد آل فريان، صحيفة اللغة العربية صاحبة الجلالة، الرابط الشبكي: www.arabiclanguageic.org

(٢) تعليم الطب بلغة الأم، عبدالوهاب الإدريسي، المكتبة الشاملة، رابط: www.shamela.ws

وطبيبَ امتياز وطبيباً مقيماً في كلية الطب بجامعة الملك فيصل، وكان من نتائجها، استطاعة كلٍّ من طالب الطب والطبيب «قراءة النَّص الطبي باللغة العربية بسرعة تفوق سرعته في قراءة النص باللغة الإنجليزية بحوالي (٤٣٪)، كما أنَّ قدرته على استيعاب النَّص باللغة العربية أفضل (١٥٪) من استيعابه للنص باللغة الإنجليزية»[١]،«وأشار السباعي أيضاً إلى أنَّ هناك دراستين أُجريتا في الجامعة الأميركية ببيروت والجامعة الأردنية بين مجموعتين من الطلاب درستا مقرراً طبياً؛ واحدة باللغة العربية، والأخرى بالإنجليزية، اتَّضح أنَّ المجموعة الأولى أفضل في درجة الاستيعاب من الثانية»[٢]. و«أظهرت نتائجُ عدد من الدِّراسات إيجابيَّات استخدام اللغة العربية في التعليم الجامعي، منها دراسة الجار الله والأنصاري عام ١٩٩٨م التي أجرياها على (٥١٦) من طلاب وطالبات الطب بجامعة الملك سعود، حيث تزيد نسبة استيعاب المحاضرة إذا استُخدمت اللغة الإنجليزية مع العربية عند حوالي (٩٠٪) من الطلاب، أمَّا إذا كانت كلها بالعربية فقد أفاد (٦٠٪) منهم أن نسبة الاستيعاب تزيد...، ويؤيد (٦٠٪) من الطلاب التدريس باللغة العربية، ويرى (٨،٧٪) منهم أن لا فرق بين التدريس بأيٍّ من اللغتين. وأفاد (٩٢،٩٪) من الطلاب بأنه يمكن البدء في تطبيق التَّعريب فوراً»[٣].

«وتبيَّن من نتائج دراسة استطلاعية أُجريت في كلية الطب بجامعة الملك فيصل عن موقف طلاب الطب من تعريب التعليم الطبي أن (٨٠٪) من الطلاب يوفرون ثلث الزمن أو أكثر عند القراءة باللغة العربية مقارنة باللغة الإنجليزية، وأن (٧٢٪) من الطلاب يوفرون ثلث الزمن أو أكثر عند الكتابة باللغة العربية مقارنة بالكتابة باللغة الإنجليزية. ويفضّل (٢٣٪) فقط من الطلاب الإجابة عن أسئلة الامتحان باللغة الإنجليزية، ويرى (٧٥٪) منهم أن مقدرتهم على الإجابة الشفوية والنقاش

(١) تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية، ص٨٤.

(٢) السابق، ص٨٥.

(٣) آراء طلاب الطب ومواقفهم من تعليم الطب باللغة العربية، جمال الجار الله، ولبنى الأنصاري، مجلة طب الأسرة والمجتمع، ١٩٩٥م، المجلد٢، العدد٢، ص٢٣-٧٢.

أفضل باللغة العربية»[١].

«وهناك دراسة حديثة تمَّ فيها تحليل مادة القراءة الطبيَّة باللغة الإنجليزية لطلاب السنة الأولى في الفصل الأول في كلية الطب البشري بجامعة الملك سعود في القصيم، اتَّضح من خلالها أنَّ الطلاب غير قادرين تماماً على البحث عن المعلومات والمعارف بهذه اللغة وبهذا القدر من التعليم اللغوي، واقترح الباحثان حلَّين، الأول ـ تكثيف دورة اللغة الإنجليزية وتمديد مدتها إلى سنة أو سنة ونصف، والآخر ـ تعريب التعليم الطبي وتدريسه باللغة العربية، وتعلّم اللغة الإنجليزية بوصفها مادة مستقلة؛ ليتمكَّن طالب الطب والعلم من متابعة معارفه، ويرى الباحثان أنَّ هذا هو الحل الأمثل والأنسب»[٢].

**سابعاً ـ مزايا تدريس الطب باللغة العربية:**

زيادةً على ما ذُكر في المبحث السابق، ثمةَ مزايا كثيرة لتدريس العلوم التطبيقية باللغة العربية، من أهمها:

أولاً ـ تحقيق هوية الأمة وتوحيدها؛ حيث إنَّ اللغة ستنشر ظلالها على روضة العروبة الكبرى، ومع مرور الوقت فإنَّ المعاني الجليلة لا بدَّ وأن تنسرب في أحاسيس أبناء الضَّاد؛ لتصبَّ في وجدانهم الذي سيتفتق عزة واعتزازاً ومحبة وولاء للغتهم الأم، وبالتَّالي عطاء وعلماً نافعاً لهم ولجميع بني البشر.

ثانياً ـ تيسير سبيل الابتكار والإبداع لارتباط اللغة بالتفكير؛ وما من شك في أن تدريس العلوم التطبيقية باللغة العربية خطوة نحو تحقيق هذا المقصِد.

---

(١) موقف طلاب الطب من تعريب التعليم الطبي، سليمان السحيمي وعدنان أحمد البار، رسالة الخليج العربي ، عام (١٩٩٢م)، العدد (٤٢)، ص٤١-٦٥. نقلاً من دراسة (تعريب التعليم الطبي رؤية واقعية)، أ.د.خالد بن عبدالغفار آل عبدالرحمن.

(٢) دراسة تحليلية لمحتوى مادة القراءة الطبية في كلية الطب. ص١٣٣١، ١٣٣٢ نقلا عن بحث مقدم لمؤتمر علم اللغة الثالث (التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي) للدكتور إبراهيم بن علي الدبيان.

ثالثاً ـ تأليف الكتب بالعربية، وهذا ما تمّ في التَّجربة السُّوريّة لتعريب الطِّب بالفعل حيث « كلَّفت جامعة حلب في عام ١٩٨٨م الدكتور فائز عيسى بوضع كتاب باللغة العربية عن أمراض جهاز الهضم؛ لتدريسه في كلية الطب، وكان تكليفاً صعباً؛ لأنَّ المكتبة العربية كانت تخلو من أيَّة كتب حول هذا الموضوع، ولم يكن المطلوب مجرَّد ترجمة حرفية للكتب الطبية الأجنبية عن ذات الموضوع، بل كان يجب التَّوصُّل إلى كتاب يتمتَّع بالصِّياغة العربية وروح اللغة العربية مع تعريب كافَّة المصطلحات العلميَّة والطِّبيَّة في أمراض جهاز الهضم، وضمن هذا التكليف بدأ الدكتور عيسى عمله على مدار عامين كاملين معتمداً على خبرته والعلوم الطِّبيَّة التي درَّسها كاختصاصي في الأمراض الهضمية، وعلى المصادر الطبية الأجنبية مراعياً في عملية التَّأليف إيجاد مصطلحات عربية تعادل المصطلحات الأجنبية، مستعيناً بما توصَّلت إليه مجامع اللغة العربية في هذا المجال، وقد تكلَّل هذا الجهد بالنجاح، وأثمر عن كتاب (أمراض جهاز الهضم) الذي اعتُمد كمادة دراسية رئيسة لطلاب السنتين الرابعة والخامسة في كلية الطب بجامعة حلب»[١].

رابعاً ـ تهيئة العلوم التطبيقية كالطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والأحياء؛ لكي تكون في متناول الجميع. و«لقد أثبتت دراسات علماء التربية أنَّ المتعلِّم بلغة الأم أكثر استيعاباً من المتعلم بغيرها، والاستيعاب عون على التَّمثُّل، وتمثِّل المعرفة هو السبيل إلى الابتكار والإبداع، ولقد أوصت منظمة (اليونسكو) استناداً إلى تقارير الخبراء باستخدام اللغة الوطنية في التعليم حتى أعلى مرحلة ممكنة»[٢].

وإنَّ التَّعليم والتَّعلُّم باللغة الأم هو الركيزة الصَّلدة للفهم المنتج. وفي تقرير لجامعة أسيوط بجمهورية مصر العربية ما نصُّه: «يتميَّز التَّدريس

(١) مجلة الرافد، شاهر يحيى وحيد، نوفمبر ٢٠٠٤م، الإمارات العربية المتحدة، ص٦١.

(٢) نقلاً عن عبدالوهاب الإدريسي، تعليم الطب بلغة الأم.

بالعربية للطالب العربي بأنَّ نقل الأفكار يتم بطريقة مباشرة سلسة دون حاجة لترجمة داخلية تعوق التَّلقي المباشر، واللغة الأم تُلقِي بظلالها على المعاني فتكسبها ثراء واتساعاً وتلخصها بنفس المتلقي وذوقه فتترك لديه أثراً باقياً، وقد لاحظنا أنَّ اللغة التَّلقائية تجعل الطالب أكثر ثقةً بما يقول وأكثر تعبيراً عن مشكلاته وجرأة على المناقشة والحوار»[١].

خامساً ـ إثراء اللغة العربية بمعارف جديدة من خلال الترجمة، ولا ريب في أنَّ العالم يشهد تجارب عديدة، تثبت نجاح تدريس العلوم الطبية بغير لغات الأمم التي أنتجتها، وأنَّ الترجمة الوافية وسيلة ناجعة لضمان نجاح تلك التجارب. والترجمة تعني «نقل الكلمة أو النَّص من إحدى اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وقد سمي بتعريب النص»[٢].

وقد يسأل سائل: من الذي سيقوم بترجمة العلوم الطبية؟ أَهُمْ أساتذة الجامعات المتخصصون بالترجمة في العلوم الإنسانية؟ أم الأطباء الذين درسوا في الخارج الذين من المحتمل أن تكون لغتهم العربية قد شابها ما شابها من الضَّعف والتراجع والركاكة؟.

وفي الإجابة عن هذا التساؤل أقول: إنَّ قضية ترجمة العلوم الطبية تحتاج إلى رعاية من الدَّولة مبنية على إرادة من شأنها تذليل الصعاب والعقبات، ثم إنَّ من يقوم بترجمة العلوم الطبية هم الأطباء المتفوِّقون أنفسهم، ويرافقهم مستشارون لغويون من أساتذة الجامعات في العربية والإنجليزية، إضافة إلى مستشارين من مجامع اللغة العربية في العالم العربي. ومن المهم أن يُستفادَ من تجارب: مصر، وسورية، وليبيا، والجزائر، والسودان، وجامعة الملك فيصل في إنجامينا في تشاد وغيرها.

---

(١) تجارب ناجحة في تعليم الطب بالعربية: www.arabiclanguageic.org

(٢) دور المصطلح العلمي في الترجمة والتعريب، مجلة التعريب، مجمع اللغة العربية بدمشق العدد ١٩٩٧م، العدد ١٤، ص ٢٤.

**ثامناً ـ العوامل التي تساعد على تدريس الطب بالعربية:**

ما من شك في أنَّ تدريس الطِّب باللغة العربية لا يتم بين عشية أو ضحاها، لكنه يحتاج في بادئ الأمر إلى قرار سيادي، وعزيمة قوية، وتبصُّر واستشعار لأهمية ذلك على جميع المستويات، ولكن ثمة خطوات عملية بعد ذلك لا بد منها:

- تشكيل لجان من الأساتذة المختصين في جميع المواد والتخصصات للإفادة من التجربة السُّورية؛ لكونها تجربة ناجحة على الرغم من حاجتها إلى التطوير في جوانب عدة.
- تشكيل فرق متفرغة من أساتذة الجامعات في جميع التخصصات؛ من أجل وضع خطة لحصر احتياجات عملية التعريب من مترجمين مهَرةٍ أكفياء وغير ذلك.
- تشكيل لجان علمية خبيرة للوقوف على أحدث بحوث العلوم الطبية ومؤلفاتها، لمواكبة كل جديد.
- تشجيع أساتذة الجامعات على التأليف والترجمة باللغة العربية.
- تعريب المصطلحات العلمية والطبية ما أمكن، «ومن المناسب أن نفرِّق بين المفرد اللغوي والمصطلح العلمي. إنَّ المفرد اللغوي ينطلق الفكر فيه من اللفظ إلى المعنى أو التصور الذي قد نجده في المعجم، أما المصطلح فإنَّ الفكر يتجه فيه من التصور أو المعنى أو الشيء الجديد النَّاجم؛ ليبحث عن اللفظ المناسب للدلالة عليه ولتخصيصه به»[(١)].
- بثّ الثِّقة في نفوس الطلاب، وتشجيعهم، وتبصيرهم بأهمية دراستهم الطب بلغتهم الأم.
- توحيد المصطلحات، حيث أصبح توحيد المصطلحات، بصفة عامة، والطِّبيَّة بصفة خاصة حاجة ملحة في وقت يشهد فيه العالم العربي فوضى اصطلاحية، فكثير من المصطلحات الطِّبيَّة الشَّائعة في مصر غير التي

(١) تعليم الطب بلغة الأم، رابط: www.shamela.ws

في سوريا، والتي في العراق غير التي في المملكة العربية السعودية. «ليس المصطلح علامة لسانية فقط، فإضافةً إلى ذلك يمثل الوعاء المعرفي الذي من خلاله تصنَّف مقولات الفكر وتبوب المعرفة»[١].

- تطويع التَّقنية وتعريب الحوسبة، ففي ظل انتشار ثورة التِّقنيَّة الرقميَّة وهيمنة مصادر التَّلقي الشبكيَّة (الإلكترونيَّة) على الساحة المعرفيَّة في العالم أصبحت اللغة العربية أمام تحدِّيات كبيرة وخيارات مصيرية، فإمَّا أن تفرضَ نفسها وتثبت قدرتها على البقاء والمواكبة، أو تخبو أمام منافسة لغات محركات البحث العملاقة.

ويبرز ذلك بجَلاء في العلوم الطِّبيَّة المنشورة على الشَّابكة باللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والصينية والألمانية التي تحوز قصب السَّبق من حيث الوفرة والجودة في آن معاً. وما من شك في أن دخول العربية إلى الشَّابكة فرصة ذهبية؛ كي تحلِّق في فضاءات متنوعة ومتعددة، فتنتشر أكثر، ويجاوز نماؤُها وحُسنها حدودَ الناطقين فيها. «إنَّ اللغات الممثلة الآن على الشَّابكة لا تتعدَّى (٥٠٠) لغة من بين نحو (٦٠٠٠) لغة إنسانية معظمها ذو وجود ضعيف للغاية، وهو وضع يُنذر بـ(هوية لغوية) بين دول متقدمة تعرف كيف تُساند وتدعم لغاتها، ودول نامية غير قادرة على مساندة لغاتها في المعركة اللغوية الطَّاحنة عبر الشَّابكة (الإنترنت)»[٢].

ومما يدعو إلى التَّفاؤل أنَّ اللغة العربية تتبوأ المرتبة الرابعة بين اللغات العشر الأكثر استعمالاً في الشَّابكة، إذ بلغ عدد مستعمليها (١٣٥) مليون نسمة، أي ما نسبته (٤،٨٪) من مجموع عدد المستعملين في العالم»[٣]. ولنتفاءل أكثر فإنَّه لا بديل لنا عن تطويع التَّقنية لخدمة لغتنا الأم، فتصبح حاضرة في محركات البحث، يأنس بها أبناؤها، وتأنس بهم.

---

(١) مجلة التعريب، مجمع اللغة العربية بدمشق، عبدالغني بن صوله، العدد (٤٩)، ٢٠١٥م، ص١٤٩.

(٢) مجلة الرافد، حسني عبدالحافظ، الإمارات العربية المتحدة، مايو ٢٠٠٤م.ص٨٧.

(٣) مجلة التعريب، محمود السيد، مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد ٤٩، ٢٠١٥م. سابق.

وفي الختام أؤكد على أنَّ مهمة تدريس الطِّب باللغة العربية شاقَّة مضنية، ولا تتم بين عشية أو ضحاها، ولا تتطلَّب رصَّ الصفوف وتكاتف الهمم فحسب، بل تتطلَّب حشد كلِّ الطاقات العلمية المبدعة في هذا المجال. ولكنَّ الأهمَّ من ذلك كلِّه عزيمة الأمَّة وقرارها السِّيادي السِّياسي؛ فلن يتمَّ أيُّ تعريب مثمر ـ مهما بذل العلماء والمتخصصون ـ من غير قرار سياسي، وإن الله يزع بالسُّلطان ما لا يزعه بالقرآن.

**تاسعاً- التوصيات والنتائج:**

أولاً ـ إيقاظ وعي الأمة على أهمية اللغة الأم، وأنَّها عنوان الشخصية والسيادة.

ثانياً ـ صدور قرار سياسي يقضي بتعريب الطب.

ثالثاً ـ العمل الحثيث على امتلاك مفاتيح علوم التقنية الشبكية (الإنترنت) وتطويعها لصالح العربية.

رابعاً ـ إنشاء مؤسسة عربية حكومية تضم أساتذة جامعيين في جميع التخصصات تعنى بالترجمة والتَّعريب.

خامساً ـ الإفادة من التَّجارب العربية ومنها التجربة السورية في تعريب الطب وتطويرها.

سادساً ـ توفير مصطلحات علمية باللغة العربية.

سابعاً ـ إنجاز مجموعة كافية من المراجع العربية العلمية الأساسية في العلوم الطبية.

ثامناً ـ توفير العدد الكافي من الدوريات العلمية العربية الطبية لنشر البحوث العربية الأصيلة فيها.

تاسعاً ـ تأمين إجادة الطلاب للُغة حيَّة أجنبية واحدة، على الأقل، تمكنهم من متابعة التطور العلمي.

عاشراً ـ تسخير الإعلام بجميع أطيافه لتسليط الضوء على أهمية تدريس

الطب بالعربية.

حادي عشر - التأكد من أن مناهج اللغة العربية التي تدرَّس في المدارس الحكومية والأهلية بصفة عامة والمدارس العالمية بصفة خاصة مجزئة من حيث المحتوى والساعات المخصصة لتدريسها.

ثاني عشر - العناية بالكفاءات العلمية، وتشجيع الموهوبين ورعايتهم؛ ليشكلوا نواة علمية واعدة، ولتصبح البلاد العربية مصدراً من مصادر العلوم الطبية في العالم، بدل أن تكون مستهلكة ومتلقية فحسب.

**عاشراً - الاستبانة:**

هذه الاستبانة وزِّعت على من درس الطب والصيدلة باللغة العربية، وعلى من درسوا الطب والصيدلة بالإنجليزية:

عزيزي الطبيب، نأمل التكرم بالإجابة عن الأسئلة الآتية بواقعية وقناعة شخصية تامة.

الاسم:.................. التخصص: ............ الخبرة:.................مكان العمل:...............

| السؤال | الإجابة | ملاحظات إضافية |
|---|---|---|
| ١-هل من الممكن تدريس العلوم الطبية باللغة العربية؟ | | |
| ٢-ما الصعوبات التي يمكن أن تواجهها عملية تعريب العلوم الطبية؟ | | |
| ٣-هل تعتقد أن تعريب الحوسبة يساعد على تدريس الطب باللغة العربية؟ | | |

| | | |
|---|---|---|
| ٤-هل توافق على أن الطبيب الذي يدرس الطب بالعربية أقدر على فهم شكوى المريض وبالتالي أقدر على التشخيص الصحيح؟ | | |
| ٥-هل تنجح برأيك فكرة تعريب جميع صنوف الأدوية المتوفرة في الصيدليات؟ | | |
| ٦-هل يحتاج الطالب الجامعي الذي يدرس الطب بالعربية إلى دراسة اللغة الإنجليزية؟ ولماذا؟ | | |
| ٧-هل تعتقد أنك لو درست الطب(بالإنجليزية/ بالعربية) يكون مستواك العلمي والمهني أفضل مما أنت عليه الآن؟ | | |
| ٨-هل فكَّرت بتأليف كتاب، أو كتابة بحث بالعربية في مجال تخصصك؟ | | |
| ٩- هل فكَّرت بتأليف كتاب، أو كتابة بحث بالإنجليزية في مجال تخصصك؟ | | |
| ١٠-تعريب الطب ضرورة حتمية ووسيلة لتتبوأ العربية مكانتها المعهودة، ووسيلة لتوحيد الأمة، وتحقيق هويتها. ما رأيك؟ | | |

أبرز النتائج (التقريبية) التي استُخلصت من الاستبانة ما يأتي:

١. بلغت نسبة الذين يشجعون تعريب الطب (٥٧٪).

٢. (٨٠٪) يرون أن أمتنا العربية غير قادرة على تعريب الطب لأسباب تتعلق بالتقنية الإلكترونية، وضعف الحوسبة، وأن التجربة السورية وقف نجاحها عند حد ولم تجاوزه.

٣. (٦٠٪) رأوا أن تعريب الحوسبة يساعد على تدريس الطب باللغة العربية.

٤. (٧٠٪) أكدوا على أن الطبيب الذي يدرس الطب بالعربية أقدر على فهم شكوى المريض وبالتالي أقدر على التشخيص الصحيح.

٥. (٩٠٪) يرون أنه لا داعي لتعريب صنوف الأدوية.

٦. (١٠٠٪) أكدوا على أهمية تعلم اللغة الإنجليزية لمعرفة ما يستجد من معارف ودراسات في العالم.

٧. (٧٨٪) ممن درسوا الطب بالعربية لايرون أن مستواهم العلمي يكون أفضل لو أنهم درسوا الطب بالإنجليزية، بينما (٨٠٪) ممن درسوا الطب بالإنجليزية لا يعتقدون أن مستواهم يكون أفضل فيما لو درسوا الطب بالعربية.

٨. (٦٢٪) أكدوا على أن دراسة الطب بالعربية أجدى من حيث الفهم والاستيعاب والإحاطة بجميع أبعاد الفكرة ودقائقها.

٩. (٩٠٪) ممن درسوا الطب بالعربية لم يفكروا بتأليف كتاب، أو كتابة بحث؛ لضيق الوقت ولقناعتهم أن البحث الذي سيكتبونه بالعربية وينشرونه قد لا يجد من يقرؤه.

١٠. أكد (١٦٪) ممن درسوا الطب بالإنجليزية أنهم كتبوا بحوثا للحصول على ترقيات وظيفية، فضلا عن التفاعل الذي يلقونه من الدوريات الطبية العالمية مع بحوثهم.

١١. (٨٨٪) رأوا أن تعريب الطب ضرورة حتمية ووسيلة لتتبوأ العربية مكانتها المعهودة، ووسيلة لتوحيد الأمة، وتحقيق هويتها.

## المصادر والمراجع:


- أدب الكاتب، ابن قتيبة، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- آراء طلاب الطب ومواقفهم من تعليم الطب باللغة العربية، جمال الجار الله ولبنى الأنصاري، مجلة طب الأسرة والمجتمع، ١٩٩٥م.
- الأصل العربي لمفردات طب العيون، د.محمد عبدالعزيز (القاهرة: مطبعة الفتوح، ١٩٧٥م).
- اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، شبكة صيد الفوائد، رابط: .www.saaid.net/aldawah/416.htm
- البعد السياسي لقضية اللغة العربية، عبدالله النفيسي، ضمن كتاب: اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، سلسلة كتب المستقبل العربي(٤٦)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أكتوبر ٢٠٠٥م).
- تدريس فنون اللغة العربية، علي أحمد مدكور (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م).
- تجارب ناجحة في تعليم الطب بالعربية، د. حمد بن محمد آل فريان، صحيفة اللغة العربية صاحبة الجلالة، الرابط الشبكي: -www.arabi .clanguageic.org
- تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية، د.زهير أحمد السباعي، ط٢ (الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ١٤٤١هـ/١٩٩٤م).
- التجربة العربية في تعريب العلوم وعلوم الطب، صادق الهلالي، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، الرابط: www.m-a-arabia.com/vb/archive/index.php/t-900.html
- تعريب المصطلح العلمي (إشكالية المنهج)، قاسم السارة، مجلة عالم الفكر، المجلد (١٩)، العدد الرابع، ١٩٨٩م.

- تعليم الطب بلغة الأم، عبدالوهاب الإدريسي، المكتبة الشاملة، الرابط: www.shamela.ws
- تعليم الطب بلغة الأم، عبدالوهاب الإدريسي: عميد كلية الطب والعلوم الإسلامية في جامعة أم درمان الإسلامية.
- التمكين للغة العربية آفاق وحلول، محمود السيد، مجمع اللغة العربية بدمشق، ج٢، مجلد (٨٣)، ربيع الأول، سنة ١٤٢٩هـ.
- الجذور العربية في المصطلحات الطبية، أحمد رفعت الكشميري، ط١ (مصر: الشرقية، ٢٠٠٦م).
- خصائص اللغة العربية وأثرها في التعليم، سعود بن عبدالله آل حسين، أحد الأبحاث التي قدمت بالاحتفاء العربية في يومها العالمي بشراكة مركز الملك عبدالله الدولي لحماية اللغة العربية، وكلِّية اللغة العربية بجامعة الإمام، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح (بيروت: دار العلم للملاين، ٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ).
- دراسة تحليلية لمحتوى مادة القراءة الطبية في كلية الطب، نقلاً عن بحث مقدم لمؤتمر علم اللغة الثالث (التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي) للدكتور إبراهيم بن علي الدبيان.
- دفاع عن تعليم الطب باللغة العربية، زهير السباعي وماجد عثمان، ورقة علمية تم تقديمها في مؤتمر تعليم التعليم الطبي بالكويت في إبريل ١٩٩٦م، الرابط: www.acmls.org/conf/conf14.htm.
- دور المصطلح العلمي في الترجمة والتعريب، مجلة التعريب، مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد (١٤)، ١٩٩٧م.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، رابط الموضوع على شبكة الألوكة: www.alukah.net/literature_language/0/342/#ixzz3vDjsK9xx

- فقه اللغة، أبو منصور الثعالبي، ط١ (بيروت: دار المنهاج. د.ت).
- القانون، ابن سينا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- قدرة اللغة العربية على مسايرة الإبداع والتجديدات في مجال العلوم الطبية والطبيعية، د.حمزة الكتاني، المكتبة الشاملة.
- لسان حضارة القرآن، د.محمد الأوراغي، ط١ (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر: منشورات الاختلاف، الدارالبيضاء: دار الأمان، ٢٠١٠م).
- لسان العرب، ابن منظور، ط٦ (بيروت: دار صادر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م).
- اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، أ.د.عبدالكريم خليفة، ط٢ (عَمَّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- اللغة العربية هويتنا، مجلة الفيصل، العدد ٢١٨، المملكة العربية السعودية، الرياض.
- اللغة العربية كائن حي، جرجي زيدان، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨م).
- اللغة الهوية والتنمية، محمد المراياتي (مسقط: الجمعية الاقتصادية العمانية، ٢٠٠٧م).
- متى يتكلم العلم العربية؟ (الطب نموذجاً)، محاضرة ألقيت بمركز الملك فيصل، الموسم الثقافي، ١٦/١٠/١٤٢٧هـ، منشورة في شبكة الألوكة: www.alukah.net/literature_language/0/115
- مجلة الأمة، الدكتورة نحلاوي، العدد السابع والأربعون، ربيع الآخر ١٤٠٤هـ.
- مجلة البيان، العدد (٣٤٣)، ربيع الأول، ١٤٣٧هـ.
- مجلة التعريب، مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد (٤٩)، ٢٠١٥م.
- مجلة الرافد، شاهر يحيى وحيد، نوفمبر ٢٠٠٤م، الإمارات العربية المتحدة.
- مجلة العربي، العدد (٣٠٧)، الكويت، رمضان ١٤٠٤هـ.

- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حامد عبدالقادر، عدد (١٢).
- المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ط٤ (القاهرة: مجمع اللغة العربية بمصر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- معجم عجائب اللغة، شوقي حمادة (بيروت: دار صادر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م).
- مقالة للدكتور حسان الطيان، شبكة الألوكة:
www.alukah.net/literature_language/0/1913/#ixzz-3vDgF9sDN
- ملامح من حضارة العرب في مجال العلوم الصحية، يعرب نبهان، مجلة تعريب، العدد (٤٩)، مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠١٥م.
- الموسوعة العربية العالمية، ط٢ (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- موقف طلاب الطب من تعريب التعليم الطبي، سليمان السحيمي وعدنان أحمد البار، رسالة الخليج العربي، العدد (٤٢)، ١٩٩٢م.

- Stedman’s Medical Dictionary, 23rd edition, the William’s& Wilkin’s Company. USA.
- WWW.MedTerm.com.

# الفهرس

الندوات والمؤتمرات ١٧

## الأبحاث:

- إسهامات اللغة العربية في التطور العلمي والفكري على مدى القرون.
  أ.د. عبدالعزيز بن حميد الحميد
- العربية والعلوم: نحو كتابة علمية صحيحة.
  أ.د. إبراهيم بن محمد الشتوي
- وسائل النهوض باللغة العربية في الميادين المعرفية والعلمية.
  أ.د. عبدالعزيز بن صالح العمار
- واقع اللغة العربية اليوم في المجالات العلمية والتقنية.
  د. عبدالله بن محمد الأنصاري
- تدريس العلوم التطبيقية باللغة العربية (تدريس الطب نموذجاً).
  أ. بدر بن محمد عيد الحسين




ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa



